دراسة جديدة على سبيل السلطان اينال المندثر والسبيل الحالي للسلطان قايتباي « بالحرم الشريف » بالقـــدس

تاليف

الدكتور محمد مصطفى نجيب

أستاذ الآثار الاسلامية المساعد

بجامعة قاريونس

دراسة جديدة على سبيل السلطان اينال المندثر والسبيل الحالي للسلطان قايتباي « بالحرم الشريف » بالقــدس

الدكتور محمد مصطفى نجيب

تقديــم :

اهتم سلاطين المماليك الجراكسة[١] بالحرم الشريف بالقدس أسوة بغيرهم من حكام المسلمين سواء كانوا خلفاء أو سلاطين وملوك أو حكام امارات وذلك لأسباب دينيــة يعرفها كل مسلم ، كما أن هذا الاهتمام يرفع من شأن هؤلاء الحكام أمام شعوب العالم الاسلامي ، وكان أول من اهتم بهذا الحرم الشريف من أولئك السلاطين السلطان الظاهر برقوق الذي جدد دكة المؤذنين تجاه محراب الصخرة الشريفه ، ونقش اسمه وتاريخ تجديده لها في سنة ٧٨٩ هـ ــ ١٣٨٧ م[٢] ، ومن أولئك السلاطين الذين اهتموا بالحرم الشريف أيضا بعد برقوق الأشرف برسباي الذي وضع مصحفا كبيرا تجاه محراب المسجد الاقصى ووقف على هذا المصحف مالا لمن يقوم بالقراءة فيه ومالا لخادم يسهر عــلى سلامته من التلف بالاضافة الى ذلك أوقف برسباي مالا وضياعا ليصرف ريعها على مصالح المسجد الاقصى[٣] والصخرة الشريفة وقد نقش بذلك رخامة ألصقت بحائط الصخرة .

كما اهتم السلطان الأشرف اينال بالحـرم الشريف ببنائه سبيلا صغيرا[٤] بالحافة الغربية من الحرم مواجهاً للباب الرئيسي لقبة الصخرة الشريفة غير أن هذا السبيل أمر بهدمه السلطان قايتباي[٥] وقام معماره ببنائه تبعا لاسلوب البناء في عصره .

واهتم بالحرم أيضا السلطان الظاهر خشقدم الذي وضع مصحفا كبيرا بقبة الصخرة كما شرع في عمارة العين الواصلة من العروب الى مدينة القدس غير أنه مات في سنة ٨٧٢ هـ ـ ١٤٦٩ م قبل اكتمالها[٦] ، بالاضافة لقيامه ببناء مدرسة بالحرم قام باعادة بنائها الأشرف قايتباي .

كما اهتم السلطان الاشرف قايتباي بالحرم أيضا ورمم وجدد بعض الاماكن والاجزاء بالمسجد الاقصى الذي نقش اسمه على واجهته كما قام باعادة بناء مدرسة[٧] خشقدم السابقة الذكر وأعاد بناء سبيل اينال أيضا .

طبيعة المكان قبل انشاء السلطان اينال لسبيله المندثر :

كانت البقعة اتي اختارها معمار اينال قبل بنائه لسبيل هذا السلطان خالية الا من بناية بسيطة صغيرة تعلوها قبة منخفضة على بئر ماء(★١)[٨] وهذه البقعة تقع ضمن الحافة الغربية للحرم الشريف(★٢) مواجهـة للباب الرئيسي لقبة الصخرة ، وهذه البقعة ذات طبيعة منخفضة عن باقي الحرم ، فكان هذا الانخفاض مع وجود بئر الماء بالاضافة لخلوها من مبان ذات شأن كلها عوامل مساعدة لاقامة هذا السبيل استغلالا لبئر الماء حتى تسيل مياهه بشيء من التنظيم ليعم نفعه على الحرم كما أنه قنن مساحته وبالتالي خفّض ارتفاع واجهاته المتوجة بقبة حتى لا يطغى جماله على جمال قبة الصخرة ويشوهها .

(*١) أنظر اللوحة رقم ١ ولكن مع الفارق في التنويع .

(*٢) أنظر شكل رقم ١ .

العوامل المؤثرة في تكوين سبيل اينال المندثر وسبيل قايتباي العالي :

من أوئل هذه العوامل المؤثرة امتداد أرض الحرم واحتوائها على مبان ذات شأن على رأسها قبة الصخرة والمسجد الاقصى فأراد المعمار ألا ينشىء مبان أخرى تطغى على هذه المباني السابقة سواء في الامتداد الأفقي أو الارتفاع الرأسي فكان هذا التقنين المعماري الذي انعكس بشكل واضح على السبيل الذي نحن بصدده ، فمساحته محدودة نظرا لمواجهته للباب الرئيسي لقبة الصخرة ، كما أن المعمار بناه على الحافة الغربية للحرم ذات المستوى المنخفض نسبيا حتى لو ارتفع به المعمار لا يطغى على قبة الصخرة ، واذا كانت طبيعة أرض الحرم ومبانيه قد تحكمت في مساحة هذا السبيل وارتفاعه فان ما بالحرم من قباب حتمت على معمار السبيل تتويجه بقبة حتى ينسجم مع باقي مباني الحرم وخاصة قبة الصخرة نظرا لمواجهته لها ، ولأجل هذا لم يفكر المعمار في اقامة كُتّاب فوقه لانه سيرتفع أكثر من اللازم وفي هذا حجب لكيان خوذة قبة الصخرة من الجهة الغربية وهو ما لا يريده المعمار حتى تكون متفردة ترى من كل جانب دون منازع لانها قلب القدس وأولى القبلتين التي يهفو اليها قلب كل مؤمن فلا يمكن حجبها حتى ولو جزئيا .

محاولة لمعرفة تكوين السبيل المندثر للسلطان اينال :

رغم أنه لا يوجد من آثار هذا السبيل حاليا شيء الا جزء من نص انشائه فاننا نستطيع على ضوئه بالاضافة لمبان أخرى على رأسها سبيله(★٣) الملحق بمجمعه بالقاهرة الذي بني فيما بين ٨٥٥ : ٨٦٠ هـ ـ ١٤٥١ : ١٤٥٦ م ، وأيضا الكيان الحالي للسبيل الذي بناه قايتباي ، كل هذا ... يجعل من الممكن التعرف على مكونات هذا السبيل فمن حيث

(★٣) أنظر شكل رقم ٢ واللوحتان رقم ١١ و ١٢ .

مادة البناء فانها لا تخرج عن الحجر الجيري ذي الحجم المتوسط الذي ساد مباني المماليك في مصر والشام والاراضي الحجازية ، أما طريقة البناء فقد اتخذت في اصطفاف المداميك النظام المشهر ذو اللون الابيض والاحمر أو الاصفر وهي نفس الطريقة التي اتبعت في المناطق التي كانت في حوزة السلطنة المملوكية .

أما من حيث المساحة فنجد أنها محدودة لان سبيل مجمع اينال بالقاهرة مساحته تبلغ ١٣ر٥٣ م٢ ، كما أن مساحة السبيل الحالي الذي يعود لعهد قايتباي لا تتعدى ٩٢ر٣٨ م٢ ، وهي من المعتقد نفس المساحة لسبيل اينال القديم التي احترمها معمار قايتباي ولم يتعداها أو ينقص منها لاعتبارات طبوغرافية ومعمارية وجمالية أحس بها معمار اينال وسار على نهجها معمار قايتباي أيضا في عملية اعادة بناء السبيل وتجديده .

أما بالنسبة للتخطيط وعدد شبابيك التسبيل فمن المعتقد أن سبيل اينال كان له ثلاثة شبابيك كذلك أي نفس عدد شبابيك سبيل قايتباي الحالي وهذا دليل مبدئي والذي ساعد على ايجادها هو عدم التصاق السبيل بمبان أخرى وهذا يرجع لطبيعة الحرم ومبانيه التي حتمت على المعمار بناء عمائر صغيرة منفردة حتى لا تطغى على أهم أثرين فيه وهما قبة الصخرة التي تواجه السبيل من جهته الشرقية والمسجد الاقصى الذي يواجه السبيل من جهته الجنوبية .

والذي يؤكد لنا وجود الشبابيك الثلاثة بسبيل اينال هو انشاء معمار هذا السلطان لسبيل ملحق بمجمع اينال بالقاهرة وبه نفس العدد منها ، غير أن هذا السبيل ملحق بالمجمع وليس مستقل كسبيل حرم القدس ولكن هـذا الالحاق لم يؤثر في اتخاذه للشبابيك الثلاثة لان الالحاق كان يسود المجمع المحيط به لا بكيان المجمع ذاته ومن هنا كان ذلك فرصة للمعار بأن يبرز كيان السبيل عن السور بحيث يستطيع

ايجاد ثلاث واجهات له يفتح بكل منها شباك الامامي منها يواجهه من الداخل الباب المؤدي للسبيل ، واذا كانت مهمة معمار اينال في سبيل مجمع القاهرة كانت صعبة بعض الشيء لابراز واجهات السبيل عن السور فان مهمته في سبيل الحرم كانت سهلة وذلك لامتداد أرض الحرم حول السبيل فكان من السهل عليه ايجاد شباك في كل واجهة من واجهاته الثلاث أما الرابعة فاستوعبت المدخل .

وما دمنا قد توصلنا الى أن مساحة السبيل المندثر والحالي واحدة وكذلك عدد شبابيك التسبيل فانه من المعتقد أيضا أن اتساعها في كل من السبيلين واحد أيضا وهذا شيء منطقي وطبيعي ما دامت المساحة واحدة في كل منهما كما ذكرنا .

كما أن ارتفاع شبابيك السبيل المندثر يماثل ارتفاع شبابيك السبيل الحالي وبالتالي يتماثل ارتفاع الواجهات بينهما والدليل على ذلك هو محافظة معمار قايتباي على اتساع الطراز الكتابي الذي يتوج واجهات السبيل الحالي وهو ما زال يستوعب في جزء منه نص انشاء اينال للسبيل فانه لو زاد في الارتفاع لاحتاج زيادة اتساع الطراز حتى يتلائم مع الارتفاع الجديد لواجهات السبيل ولكنه لم يفعل والدليل على ذلك هو امتداد هامات أحرف نص قايتباي المحدث كامتداد هامات الجزء المتبقي من نص اينال القديم وبذلك ظهرا بشكل متلائم دون تفور بينهما رغم الفارق الزمني الذي يفصلهما ولكنها حنكة المعمار والخطاط والحفّار الذين عملوا على الملاءمة بينهما رغم ما كلفهم ذلك من جهد ولو كان آخرون قائمين على هذا الامر لأزالوا نص اينال كلية وأراحوا أنفسهم من جهد الملاءمة بين النصين ... ولكنها الامانة التي جعلتهم يتصرفون مثل هذا التصرف ويبذلون مثل هذا الجهد فحافظوا على وثيقة أثرية تاريخية وصلت الينا لنتعرف على المنشىء الاصلي لهذا السبيل .

أما بالنسبة لما يتوج السبيل الحالي من منطقة انتقال تعلوها قبة حجرية منقوشة فان أمر وجودها بسبيل اينال المندثر أمر يحتاج لدراسة لا الادلاء بوجودها دون تمحيص ، وذلك لعدم وجودها بسبيل اينال بمجمعه بالقاهرة ، ولكن لو تعمقنا في دراسة آثار القاهرة قبل عصر اينال لوجدنا بسبيل الناصر محمد الملحق في ٧٢٦ هـ ـ ١٣٢٦ م بالناصية الشرقية لمدرسة والده بحي النحاسين منطقة انتقال ورقبة مثمنة كانت تمتطيها قبة خشبية(★٤) ظلت باقية حتى سجلها رحالة[٩] القرن التاسع عشر الميلادي ثم اندثرت بعد ذلك .

وبذلك نجد أن المعمار المملوكي منذ أيام الناصر محمد بن قلاوون له خبرة بتتويج الأسبلة بقباب بالاضافة لما لديه من خبرة سابقة من تتويج القبور بقباب جنائزية في كل من مصر والشام ، ونتيجة لهذه الخبرات ولاحساسه المرهف وجد أنه من المناسب الملاءمة بين قبة السبيل الذي سينشئه وبين القباب المنتشرة في الحرم وعلى رأسها قبة الصخرة فكان بناؤه للقبة المتوجة للسبيل المندثر والتي حافظ على منطقة انتقالها وهيئة خوذتها معمار قايتباي ولكن عند اعادة البناء أقامها تبعا لطراز عصره من حيث تعدد المثلثات الناتئة بنواصي منطقة الانتقال وتغشية الخوذة بالزخارف النباتية ، لان ما كان سائدا في عصر اينال وما قبله بنواصي مناطق الانتقال هو مثلث ناتىء كبير بكل ناصية وذلك بالقباب الجنائزية ... بمصر والشام وهو من المعتقد نفس النظام الذي كان بنواصي منطقة انتقال قبة السبيل المندثر كما أن زينة خوذة هذا السبيل المندثر كانت الزخارف الدالية التي تأخذ في التناقص كماً وكيفا مع تكويرها اذ أن هذه الزخرفة ابتكرها المعمار المملوكي الجركسي وكان مفتونا بها فنفذها على جميع قباب هذا العصر حتى عهد اينال ،

ـ(★٤) أنظر لوحة رقم ٨ .

حقيقة أنه كان يوجد أنماط أخرى من الزخرفة منها المفصص والمخوص بالاضافة للزخارف النباتية والاطباق النجمية ولكن مثل هذه الزخارف كانت منزوية ولم تكن لها السيادة كالزخرفة الدالية التي كانت مسيطرة على فكر وعقل معمار اينـال وما قبله حتى جاء معمار قايتباي وطور المنزوي منها فأصبحت سيدة الموقف وزين بها خوذة السبيل الحالي .

ما أضافه معمار قايتباي عند اعادة بناء السبيل :

ذكرنا فيما سبق أن معمار قايتباي حافظ على مساحة السبيل وعدد شبابيك التسبيل به كما حافظ على اتساع وارتفاع هذه الشبابيك وبالتالي ارتفاع الواجهات التي تضمّن أعلاها من نص حافظ على اتساع طرازه وأجزاء من مضمونه ببداية النص الحالي بالاضافة لتتويج حجرة السبيل بالقبة .

ولكن ما أضافه معمار قايتباي أو عمـل على تطويره من عناصر معمارية تبعا لطراز عصره هو نواصي منطقة الانتقال التي كانت في عهد اينال عبارة عن مثلث واحد ناتىء الهيئة يشغل كل الناصية بينما ما يوجد بالسبيل الحالي هو ثلاث مثلثات ناتئة تنتظم بكل ناصية فهذا من تطوير معمار قايتباي ، كما أن زخارف القبة التي اتخذت العنصر النباتي ذات التفاصيل المحفورة زينة لها فانها أيضا من لمسات معمار ومزخرف قايتباي اللذان عملا على تنمية هذه الوحدات التي كانت منزوية ولم يكن لهـا السيادة ، فانتشرت ومُثلت على خوذة هذا السبيل وخوذة ضريح أولاد قايتباي وضريحه(★٥) الملحق بمدرسته وخريج عبد الله المنوفي والجميع بقرافة المماليك بالقاهرة .

(★٥) أنظر اللوحتان رقم ١٤ و ١٥ .

وما دام الامر قد تطرق بنا للعناصر الزخرفيـة فان تحديد بداية الخوذة بالجفت المجرد من الميمات المستديرة وان كانت بداية ظهوره بميمات منذ عهد برسباي فانه نضج وتطور في عهد قايتباي بالشكل الذي نجده بخوذ قباب قايتباي وأمرائه بالقاهرة ، كما أن تحديدشبابيك التسبيل وصنج أعتابها بالجفت اللاعب ذو الميمات انما هو وليد عهد قايتباي لا قبله ومن هنا نجد أن تحديد شبابيك الأسبلة بهذا العنصر من ابتكارات معمار ومزخرف قايتباي ونفذها بهذا السبيل بالاضافة لأسبلة قايتباي وأمرائه بالقاهرة واتبعها من جاءوا بعده •

الوصف المعماري لسبيل قايتباي :

هذا السبيل من الأسبلة المستقلة التي بنيت على نسق سبيل اينال المندثر كما سبق أن أوضحنا فحافظ المعمار على حدوده وامتداداته وارتفاع قبته بل ومن المعتقـد أن بعض حجارته الصالحة للاستعمال استعملت مرة أخرى فيه ، والدليل على ذلك ابقاء معمار قايتباي على جزء من نص الانشاء بأعلى الواجهات وهو من الحجارة القديمة التي كانت مستخدمة بالسبيل القديم فمن الممكن أن تكون باقي الحجارة أو بعضها أعيد استخدامها في بناء سبيل قايتباي •

وخاصية استقلال هذا السبيل حتمته طبيعة المكان وظروفه ومكان البئر القائم عليه والا ألحقه المعمار بالمدرسة الأشرفية كشأن الأسبلة الملحقة بمدارس القاهرة وغزة وغيرها من مدن الشام ومصر •

وهذا السبيل يتكون من وحدتين رئيسيتين :

أ ـ مورد المياه في تخوم الارض •

ب ـ حجرة التسبيل وما بها من تجهيزات لتسبيل المياه على العابرين والمترددين على الحرم •

أ ـ مورد المياه :

هذا المورد عبارة عن بئر حفرت في جوف الارض قبل بناء اينال لهذا السبيل وتجديد قايتباي له أي أن معمار كل منهما استغل هـذه البئر في جعلها موردا لمياهه وبذلك لم يكلف المعمار نفسه مشقة العمل على ايجاد مثل هذا المورد سواء كان طبيعيا لانه موجود من الاصل وهو البئر أو صناعيا لتخزين المياه سنويا وهو الصهريج(★٦)[١٠] ، كما أن هذا المورد الطبيعي لم يكلف الواقف سواء كان اينال أو قايتباي في ايقاف أعيان أو أطيان لتدر ريعا لجلب مياه لصهريج هذا السبيل ـ لو وجد ـ كما حدث في أسبلة القاهرة وغيرها من مدن مصر والشام تصل لآلاف الدراهم .

وبذلك نجد أن مورد مياه هذا السبيـل يختلف عن موارد مياه السبل الاخرى من حيث كونه طبيعيا يعتمد على البئر الذي يزود من مياه الامطار ، لا على صهريج يستخدم في تخزين المياه المستجلبة من أقرب مورد للمياه .

ويتصل بئر هذا السبيل بحجرة التسبيل من خلال فوهة يسيل منها الماء عبر أقصاب مغيبة بأرضية حجرة التسبيل لتصل لشبابيك السبيل الثلاثة ووضعت على هذه الفوهة حلق وخرزة لغلقها في أوقات غلق السبيل وعدم قيامه بعملية تسبيل المياه في أوقات معلومة .

ب ـ حجرة التسبيل :

هذه الحجرة مستطيلة الشكل تميل للتربيع ٤٫٨٣ م × ٤٫٦٥ م كانت أرضيتها مفروشة بالرخام[١١] الذي تلاشى حاليا نتيجة لتجديدات

(★٦) أنظر اللوحة رقم ١٢ بخصوص فتحة صهريج سبيل وينال الملحق بمجمعه بالقاهرة .

السلطان عبد الحميد خان واستبدل به بلاط من الحجر ، ... ويتوسط كل من الجدار الغربي والشمالي والجنوبي ـ وهي الجدر المحددة لحجرة التسبيل ـ شباك للتسبيل اتساعه ٢ م يغشيه مصبعات(★٧) ، وكان بأرضية كل شباك من هذه الشبابيك الثلاثة السابقة حوض رخامي معد للتسبيل وارتفاع كل شباك منها يصل لـ ٣ م يتوج كل منها عتب ذات صنج معشقة ، أما الجدار الشرقي من حجرة التسبيل فيقع بالجانب الجنوبي منه باب الدخول لحجرة التسبيل ويتوج هذا الباب عتب ذات صنج معشقة(★٨) ، وهذا الباب يؤدي لحجرة التسبيل مباشرة أي أنه غير منكسر وهذا بخلاف أبواب ومداخل أسبلة قايتباي بالقاهرة والشام والأراضي الحجازية وخاصة المستقل منها التي عالجها المعمار بشكل مركب فجعلها منكسرة وهذا يتطلب منه ايجاد دركاه ودهليز يليها يؤدي بعدها لحجرة التسبيل كل هذا يتطلب مساحة تزيد من ضخامة وفخامة السبيل أما في حالة السبيل الذي نحن بصدده فنعرف مدى التقنين الذي سار عليه معمار قايتباي ومن قبله اينال في الحد من مساحته حتى لا يطغى على قبة الصخرة كما أنه ليس في احتياج ملح لمثل هذا المدخل المركب بهذا السبيل لانه لا يعلوه مستوى ثان مثل كتّاب أو ملاحق علوية كما في أسبلة قايتباي بالاقاليم السابق ذكرها التي يوجد بها كتاتيب أو سكن للمؤدب فكان لا بد من ايجاد سلم صاعد لمثل هذه الملاحق ولبئر لهذا السلم الذي اقتضى من المعمار ايجاد مثل هذه المداخل المنكسرة المركبة التكوين .

وبالجانب الشمالي من باب الدخول لحجرة التسبيل دخلة بأرضيتها فتحة البئر التي أحيطت بحلق أغلق بخرزة .

(*٧) أنظر اللوحات من رقم ٢ الى رقم ٥ .

(*٨) أنظر اللوحة رقم ٥ .

قبة السبيل ومنطقة انتقالها :

يغطي حجرة التسبيل قبة حجرية ذات منطقة انتقال تتكون من سبعة حطات من المقرنصات ذات العقود المدببة المزين قمة كل منها بشكل محاري وهذه المقرنصات ذات السبع حطات مصطفة في كل ركن من أركان منطقة الانتقال داخل مثلث قمته لأسفل وقاعدته لأعلى وهـذا النظام مألوف بمناطق انتقال القباب بالشام منذ العصر الايوبي وبمصر منذ العصر المملوكي البحري ، وبوسط كل ضلع من أضلاع منطقـة الانتقال توجد نافذة « قمرية » ذات عقد مدبب اتخذت للتخفيف عن الجدر واضاءة الحجرة وتهويتها ، وبواسطة هذه المنطقة الانتقالية أمكن للمعمار تحويل قمة التربيع السفلى للحجرة الى منطقة ذات اثنى عشر ضلع تتركز عليها الرقبة الاسطوانية التي لم يفتح بها المعمار أي قمريات ... أما هيئة الخوذة التي ترتكز على هذه الرقبة فتأخذ قطاع من عقد مدبب تأخذ صنجه في التناقص مع تكوير الخوذة الى أن تصل للصنجة المفتاحية التي يختتم بها قمة الخوذة .

• • •

واجهات السبيل :

لهذا السبيل أربع واجهات تواجه كل منها جهة من الجهات الاصلية الاربع وهذا ما ساعد على عملية تجفيفه وتهوية داخله وذلك بمساعدة شبابيك تسبيله المتسعة والقمريات التي تتوسط منطقة الانتقال .

وقد ساوى المعمار بين أطوال هذه الواجهات خاصة وأن مساحة السبيل مربعة تقريبا كما ساوى فيما بينها في الارتفاع ، ولكنها رغما عن هذا لا تبدأ كلها من أسفل بداية واحدة وهذا يرجع لاختلاف مستوى أرضية الحرم في جانبها الغربي اذ تبدأ كل من الواجهة الغربية والشمالية

مبكرا عن الجنوبية والشرقية بمقدار ٠ر٦٠ م ولكن تلافي الاختلاف بين المستويات بايجاد درجات سلم أسفل شبابيك التسبيل يتفاوت عددها من شباك لآخر تبعا لمنسوب الارض أسفله فبالنسبة لكل من الشباك الغربي والشمالي ركّب المعمار أسفلها أربع درجات أما أسفل الجنوبي فاثنتان ، وأمام عتبة باب الدخول أربع أيضا ، وقد ركب المعمار هذه الدرجات أسفل كل شباك لامكان صعود المارة عليها للشبابيك وذلك من الجانبين والامام أيضا ، وهذا بعكس درجات شبابيك التسبيل بالأسبلة المبنية على حواف طرق فقد ركبت من الجانبين فقط ولم يستغل الجانب الامامي لها حتى لا تعتدي على خط تنظيم الطريق وتقلل من اتساعه ، بخلاف ما حدث في هذا السبيل فانه بني في ساحة فهذا أعطى للمعمار حرية في تركيب درجات أمامية أيضا ٠

أما من حيث التكوين المعماري لواجهات هذا السبيل فقد وفق المعمار في ايجاد تآلف وتطابق بين ثلاث منها وهي كل من الواجهة الجنوبية والشمالية والغربية حيث يتوسط كل منها شباك للتسبيل أما الشرقية فتختلف عنهم من حيث وجود باب الدخول لحجرة التسبيل بالجانب الجنوبي لها مع عدم وجود أي منافذ أخرى لها ٠

التوصيف المعماري لكل من الواجهة الجنوبية والشمالية والغربية(★٩) :

ذكرنا فيما سبق أن هذه الواجهات تتفق من حيث التكوين المعماري الذي يصل لحد التطابق حيث يتوسط كل منها شباك للتسبيل اتساعه ٠ر٢ م ويتقدم بداية فتحته قطعة حجرية مستطيلة ترتكز على أربعة كوابيل حجرية مروحية بارزة ، وكل قطعة من هذه القطع الحجرية أعدت لوضع كيزان وأسطال الشرب المربوطة بسلاسل بمصبعات شبابيك

(★٩) أنظر اللوحات من ٢ الى ٥ ٠

التسبيل ، ويرتفع كل شباك من هذه الشبابيك الثلاثة بمقدار ٣ر٠ م ليتوج كل منها عتب مزرر من صنج معشقة تعشيقا مركبا تبادلت ألوانها بين الاحمر والابيض أي تبعا للنظام المشهر مع تحديد جانبي وأعلى هذه الأعتاب بثلث مدماك أحمر وقد نفذ المعمار النظام المشهر أيضا بمداميك كتفي كل شباك من هذه الشبابيك الثلاثة مما أكسب هذه الواجهات جمالا معماريا من نوع خاص وقد حدد المعمار والحفار صنج كل عتب من هذه الاعتاب ومداميك كل كتف باطار حجري بارز يتكون من تتوأين يحصران بينهما قناة غائرة يتخللها ميمات على أبعاد منتظمة وهذا الاطار الحجري ... بمكوناته هذه يطلق عليه في المصطلح الوثائقي جفت لاعب ، وهذا الجفت حصر كل شباك تسبيل وما يعلوه من عتب داخل مستطيلين العلوي يمتد أفقيا على السفلي مما أضفى وضعا حركيا زخرفيا زاد من ابراز الجمال المعماري المتمثل في النظام المشهر ، وقام المعمار بايجاد أساطين مخلقة تأخذ قطاع ثلاثة أرباع دائرة وذلك بنواصي الواجهات وتبدأ على ارتفاع ٣٠ر٠ م من بداية شبابيك التسبيل يحددها من أسفل جفت لاعب أيضا يبدأ من الناصية ويمتد على جانبي كل واجهتين ملتقيتين ليتلاقى هو الآخر ببداية الجفت المحدد لأكتاف شبابيك التسبيل وهذه رابطة وصل زخرفية تؤكد رباط النواصي المعماري المتمثل في الأساطين المخلّقة التي ارتكزت على قواعد ناقوصية وتوجت بتاج يتكون من ثلاث حطات من المقرنصات ذات العقود المدببة، وقد نفذ المعمار صنج بون هذه الاساطين بطريقة متداخلة على هيئة الدالات ليزيد من متانتها معماريا وهذا أضفى عليها جانبا جماليا والذي زاد من ذلك اتباع صنجها للنظام المشهر بالالوان السابق ذكرها والتي اتبعت بمداميك أكتاف الشبابيك وصنج أعتابها ، وبتحديد بداية قواعد هذه الاساطين وجانبيها بالجفت اللاعب حفرت داخل مستطيل يمتد بشكل مشترك بطرفي كل واجهتين ويكتمل ضلعه العرضي العلوي

بامتداد الجفت المحدد لأسفل النص الكتابي المتوج لأعلى الواجهات وهو نفس الجفت الذي حدد أعلى الصنج المتوجة لكل شباك من شبابيك التسبيل وقد توج المعمار والخطاط الواجهات الثلاث السابقة بالاضافة للواجهة الرابعة ... الشرقية بطراز كتابي يعتبر خاتمة لها جميعا وهذا النص تتضمن بدايته جزءا من نص اينال القديم الذي لا يوجد اختلاف بينه وبين نص قايتباي وكلاهما كتب بالخط الثلث المملوكي ذات الحجم الكبير نوعا المحفور ما حوله داخل بحور مستطيلة تمتد بامتداد أعلى الواجهات يفصل بينها عند التقائها بالنواصي فواصل تشبه الكؤوس وقد حدد المعمار أعلى وأسفل هذا النص بثلث مدماك أحمر يبرز عن أرضية النص قليلا ليحدد أعلاه وأسفله جفت لاعب بارز ذات فتحات على أبعاد منتظمة وقد اعتبر المعمار والنحات الجفت العلوي نهاية بل قمة الواجهات ... فلم يتوجاه بكورنيش حجري بارز لارتكاز أي نوع من الشراقات عليه لانه لا يوجد دليل معماري على وجودها أو وجود الكورنيش وبذلك لم يحدثاهما ليتفقا مع قمم واجهات قبة الصخرة التي لم تعرف مثل هذا التتويج وبذلك أحدثا انسجام بين قمم واجهات كل من الأثرين .

التوصيف المعماري للواجهة الشرقية(★١٠) :

هذه الواجهة تقابل المدخل الرئيسي لقبة الصخرة المشرفة ، وهي تمتد وترتفع كامتداد وارتفاع الواجهات الثلاث السابقة كما أن المعمار أدمج بناصيتيها أسطونين مخلقين مشتركين بينها وبين كل من الواجهة الجنوبية والشمالية وهما كنظيريهما المدمجان بناصيتي الواجهة الغربية ويشترك فيهما أيضا ناصيتي كل من الواجهتين السابقتين ، ويبدأ بأعلى

(★١٠) أنظر اللوحة رقم ٥ .

هذه الواجهة النص التذكاري الذي يمتد ليتوج الواجهات الثلاث السابقة ويحدده نفس التحديدات التي بكل منها وهي الثلث مدماك والجفت اللاعب ذو الميمات ، غير أن المعمار أبرز بالجانب الشمالي من الثلث مدماك العلوي المحدد لأعلى لنص وأسفل الجفت مباشرة ... ميزاب لتصريف مياه الامطار وذلك تفاديا لخطر تجمعها بقمة هذه الواجهة وقسم الواجهات الثلاث السابقة .

واذا كان المعمار قد ميز أعلى هذه الواجهة بوجود الميزاب فانه أيضا ميزها من حيث التكوين اذ جعل بالجانب الجنوبي منها باب الدخول لحجرة التسبيل ، أي أن المعمار لم يفتح هذا الباب بوسط الواجهة بالضبط وهذا خلاف ما حدث بالنسبة لشبابيك التسبيل التي توسطت كل منها واجهتها ، والسبب المباشر الذي جعل المعمار يفتح الباب بجانب من الواجهة لا بوسطها هو وجود فوهة البئر بالجانب الشمالي منها فعمل دخلة لتستوعب الفوهة وبذلك أصبح هذا الجزء مشغولا بها من الداخل ومصمطا بالتالي من الخارج يجاوره باب الدخول الذي نصل اليه بواسطة أربع درجات وهو باب بسيط فتح على صفحة الواجهة مباشرة دون أن يوجده المعمار في دخلة متوجة بعقد مدايني أو أي نوع آخر من التتويجات التي اشتهرت بها المداخل التذكارية المملوكة سواء كانت في الأسبلة أو المباني الاخرى ، والسبب في ذلك أن مثل هذه المداخل تحتاج لمساحة وواجهات أكثر ارتفاعا وهي شروط غير متوفرة في هذا السبيل ومن هنا كانت بساطة مدخله الذي توج بعتب مزرر يعلوه عقد عاتق يحصران بينهما نفيس ، واذا كانت صنج العتب بسيطة فان صنج العقد العاتق مركبة كتركيب صنج أعتاب شبابيك التسبيل وقد حدد النحات جانبي وأعلى كل من عتب الباب وعقدة العاتق بجفت لاعب ذو ميمات يلتف حولها على هيئة مستطيلين ويمتد الجفتين الجانبيين لكل منهما ليتصلا بالجفت المحدد لأسفل النص التذكاري

وبذلك أصبح لدينا مساحة ثالثة مستطيلة محصورة بين أعلى جفت صنج العقد العاتق وأسفل الجفت السفلي للنص التذكاري وقد جزئت هذه المساحة بدورها بواسطة جفتين لثلاثة مستطيلات تتعامد على كل من مستطيلي العتب والعقد العاتق .

منطقة الانتقال(★١١) :

هذه المنطقة تعلو قمم الواجهات مباشرة ، وهي على هيئة مربع يقل امتداد أضلاعه عن امتداد أضلاع التربيع السفلي وذلك لقلة سمك جدرانه التي فضل المعمار أن تكون من الخارج حتى يحدث التدرج المطلوب نحو القمة ، كما أن قلة سمك الجدران بهذه المنطقة انما أوحته طبيعة الضغط المعماري الطارد من القبة .

وقد أحدث المعمار انسجاما وتوحيدا بين نواصي منطقة الانتقال ومثل هذا الانسجام والتوحيد أحدثه بالنسبة لأواسط أضلاع هـذه المنطقة الانتقالية ولكن بشكل يخالف ما في النواصي لاختلاف طبيعة تكوين كل منها ولكن رغم هذا فيتفقا من حيث أداء المهمة التي أوكلت اليهما وهي تحويل المربع الى تضليع ــ يبلغ اثني عشر ضلعا ــ ثم الاستدارة لحمل الخوذة المتوجة لهذا السبيل .

وقد بدأ المعمار بشطف أسفل النواصي لارتفـاع ثلاث مداميك ليحصل على شكل مثمن ولكن لم يترك هذا المثمن صريحا للعيان بل أدمج به مثلث ناتىء ثم يبدأ على جانبي قمته شطفين آخرين أقل اتساعا من السفلى وأدمج بكل منهما مثلث ناتىء ولكنهما أقل امتدادا وارتفاعا من السفلى ومثل هذه المثلثات الثلاثة الناتئة في كل ناصية من النواصي الاربع انما أوجدها المعمار كسنادات للاضلاع المشطوفة الصاعدة لأعلى

(★١١) أنظر اللوحات من رقم ٢ الى رقم ٥ .

ولاعطاء سمك وحماية لحنايا ومقرنصات منطقة الانتقال من الداخل ، واذا نظرنا لنواصي هذه المنطقة الانتقالية ـ بشكل متجرد ـ بعد التوصيف السابق نجد أن كل منها على هيئة مثلث مقلوب قمته تستوعب الشطف الاول وقاعدته تستوعب الشطفين العلويين وتنطلق لأعلى يحددها كورنيش حجري بارز ، وهذه المثلثات المتمثلة بنواصي منطقة الانتقال من الخارج رغم غوص رؤوسها بقمم الواجهات فانها ترديد ـ مع الفارق ـ للمثلثات الاربعة المكتملة الرؤوس التي بأركان منطقة الانتقال من الداخل والمستوعبة لحطات المقرنصات والتي تناظر الخارجية في وضعها المقلوب .

• • •

واذا كان المعمار قد أوجد فارق تكويني بين النواصي الخارجية لمنطقة الانتقال وأركانها الداخلية فانه اضطر الى ذلك لاعتبارات معمارية تتلخص في أن طبيعة تكوين الاركان من الداخل تختلف عن طبيعة تكوين النواصي من الخارج وفيما تحتويه كل منهما من عناصر معمارية مع تكييف كل من هذه العناصر مع ما خلّقت من أجله من فراغ داخلي أو فضاء خارجي ، وبذلك خلّق المعمار بأركان منطقة الانتقال المقرنصات الصغيرة الصاعدة بشكل منحنى متدرج لمناسبتها لما تشرف عليه من فراغ داخلي مع العمل بمساعدتها على استمرار هذا الفراغ لأعلى ولكن على نطاق أضيق وأرشق ، أما بالنسبة لما خلّقه المعمار بالنواصي من شطوف مقطوعة بشكل حاد ومدمج بها مثلثات ناتئة للخارج مع سلبها لأعلى فان هذا ساعد على عملية السموق والارتفاع التي يبتغيها المعمار وتكون خاتمته الخوذة وما يتوجها من هلال يشرف بجلاله على فضاء لا نهائي ومن هنا نجد أن تكوين كل من النواصي والاركان شكل تبعا لما يؤديه من مهمة وما يشرف عليه وان كانا يتفقا من حيث التحويل من التربيع

التثمين ثم للاستدارة عبر منطقة الاثنى عشر ضلعا ، واذا كانت النواصي وما بها من شطوف ساعدت على ايجاد ثماني أضلاع من منطقة الاثنى عشر ضلعا السابق ذكرها فان كل ناصيتين وما بها من شطفين تحصران بينهما ضلع مستو هو اختزال لضلع المربع الذي بدأت به منطقة الانتقال من أسفل واختزل لثلث امتداده الاصلي بعد اكتمال الشطوف التي كانت على حساب امتداده ... وقد فتح المعمار بأسفل كل ضلع من هذه الاضلاع المستوية أي بوسط امتداد الضلع الاصلي لتربيع منطقة الانتقال قمرية متوجة بعقد مدبب ذات صنج مسلوبة ... وتمتد هذه القمرية بنفس هيئتها للداخل لتفصل بين مقرنصات أركان منطقة الانتقال وبذلك وصل المعمار لقاسم مشترك يجمع ويوحد بين خارج منطقة الانتقال وداخلها وهو ما سعى اليه دائما .

هذا ويحدد حافة الضلع المستوي الذي بأعلى كل قمرية من هذه القمريات الاربع امتداد الكورنيش الحجري البارز بشكل متدرج حدد من قبل حواف الاضلاع المشطوفة ، وبهذا الكورنيش ختم المعمار قمة منطقة الانتقال بشكل أكثر من مناسب ، ولتصريف مياه الامطار يبرز ميزاب من الطرف البحري لكورنيش الضلع المستوي الذي يتوج القمرية الشرقية وهو على نفس سمت الميزاب الذي يبرز أعلى الجانب البحري من الواجهة الشرقية وبذلك يساعد هذا الميزاب في تصريف المياه المندفقة من قرينه العلوي .

الخوذة وزخارفها(★١٢) :

هذه الخوذة مهدت لها منطقة الانتقال حتى تنطلق بعدها لتكمل التتويج النهائي لهذا السبيل وتبدأ هذه الخوذة مرتكزة على رقبة

(★١٢) أنظر اللوحات من رقم ٢ الى رقم ٥ .

مستديرة تعلو منطقة الانتقال التي مهدت لها لتظهر بهذه الهيئة ، ولقد تراجع بها المعمار للداخل عن حافة منطقة الانتقال ليبدأ محيطها وهـذا الدخول قلل من سمك بنيانها تفاديا للضغط الطارد الناتج عنهـا وعن الخوذة ، وهذه الرقبة اسطوانية التكوين تصعد لأعلى دون أن يفتح بها المعمار أية قمريات لانه في فتحة لهـا ستطول الرقبة وبالتالي يزيد ارتفاع الخوذة التي تطاول في هـذه الحالة خوذة قبة الصخرة وهذا ما لا يريده المعمار .

وبأعلى هذه الرقبة شريط غائر قليـلا كان من المعتاد في القباب الجنائزية شغله بطراز كتابي ولكن أحجم الخطاط عن هذا العدم اعتياده مثل هذا الامر على قباب الأسبلة ـ وهي منشآت مدنية خيرية ـ حتى بعد انتشارها بالأسبلة العثمانية(★[١٣]) .

وقد ختم المعمار قبة خوذة هذا السبيل بجفت مجرد بارز تنطلق منه الزخارف النباتية المغشية لظاهـر الخوذة التي تأخذ صنجها الصغيرة الحجم الرقيقة السمك في الاستدارة على نسق استدارة الرقبة ثم في الانحناء بشكل مدبب حيث أن قطاع هذه الخوذة على هيئة عقد مدبب يندمج بظاهر صنجته المفتاحية قائم الهلال النحاسي ذات الاتتفاخات المتوالية المتنوعة فالسفلى تفاحية والثانية والثالثة كمثرية يرتكز عليهـا الهلال ذات الشكل المقفل من أعلى والمتجه طرفاه من الشمال للجنوب .

توصيف وتحليل زخارف الخوذة :

هذه الزخارف دبجها ... النحات لتتناسب مـع تحديب مسطح الخوذة وقد نفذها بحفر ما حولها من أرضية كي تبرز هي كما أن النحات اشتغل بازميله لبيان الجزئيات الداخلية للوحدات النباتية من تفريعات

(★١٣) أنظر اللوحة رقم ٧ .

وتعريقات ، وتنطلق هذه الوحدات النباتية ذات الطابع المجرد من الجفت الحجري المجرد المحدد لبداية الخوذة ونهاية الرقبة في تكوينات متكررة بشكل متماثل ومتبادل .

وتبدأ هذه الزخارف بأنصاف مراوح نخيليـة تتماس مع الجفت المحدد لبداية الخوذة ليتفرع من كل اثنتين متدابرتين فرعين نباتيين يكونان هيئة مثلث بقمته عقفتين معقودتان وبذلك نحصل على اثني عشر تكوين من هذه التكوينات تعتبر ترديد لأضلاع منطقة الانتقال الاثني عشر ، واذا كانت البدايات متوافقة فان الامر بعد ذلك يختلف ولكن مع ضبط وتنسيق متبادل بحيث نجد ستة تكوينات على هيئة تفريعات دائرية ... ارتكازها سفلي وسامقة لأعلى تتداخل معها بشكل متبادل ست أخرى هابطة من أعلى لأسفل وهذا التكوين يذكرنا بتكوين المثلثات المتعاكسة القواعد ، واذا كانت هذه الوحدات جميعها تساعد بعضها البعض في تشكيل وتكوين زينة الخوذة فان تكوين السفلى يختلف عن المتداخل معها من أعلى رغم أن البدايات بها جميعا واحدة .

فان طبيعة تكوين كل وحدة من الوحدات السفلية عبارة عن تفريعين ينطلقا متدابرين من قمة التفريع المثلث ذات العقفتين المعقودتين يلتفا ليكونا دائرتان تستوعب كل منهما بوسطها نصف مروحة نخيلية تتصل رأس كل منها بعقفة من عقفتي قمة التفريع المثلث السابق ويتوسط أعلى كل من الدائرتين السابقتين دائرة ثالثة منبعجة الشكل وذات قمة مدببة تندمج بكل من السفليتين من خلال عقفتين ما هما الا امتداد للمروحة النخيلية التي تتوسط هـذه الدائرة الثالثة ، وكل من هذه المروحة وأنصاف المراوح الاخرى سواء التي ببداية التفريع المثلث أو المستوعبة داخل التفريع الدائري فقد بيّن النحات تفاصيلها الداخلية حتى يكسبها دقة وحيوية .

أما بالنسبة لطبيعة تكوين كل وحدة من الوحدات الهابطة من أعلى فينطلق من قمة التفريع المثلث السفلي بعد العقفتين تفريع آخر منفرج يقابله نصفي مروحتين ممتدان لأسفل بشكل منفرج ايضا ليلتقيا بالتفريع المنفرج السفلي ويكونا هيئة معين وينطلق من منبت نصفي المروحتين نصفان آخران بينهما ثالث ليكمل كل منها ملء الفراغ الفاصل بين كل تكوينين سفليين ، وقد وضحت التفاصيل الداخلية لهذه الانصاف كنظيرتها السفلية .

طريقة تسبيل المياه بالسبيل :

ان وجود مباني الأسبلة فوق مصادر الميـاه انما أوجدته ناحية تنظيمية وحضارية في نفس الوقت ، فبالنسبة للناحية التنظيمية فهي تقليل كمية المياه المهرقة والضائعة أثناء التسبيل خاصة وأنه يوجد موظف يقوم بعملية التسبيل بشكل منظم وفي أوقات معلومة يطلق عليه المزملاتي ، أما الجانب الحضاري في ذلك فان وجود مبنى السبيل في حد ذاته يدل على أنه نتاج حضارة ليست بالبسيطة كما أن تجميله وتجهيزه يريح النفس ويبعث فيها البهجة والسرورة وهذا خلاف فيما لو كانت موارد المياه خالية من أي تجهيزات .

ونتيجة لاهتمام السلاطين والامراء بالاعمال الخيرية تسابقوا لاقامة مثل هذه الأسبلة مع تعيين موظف لها أو أكثر وهذا ينطبق على سبيل قايتباي موضوع الدراسة وغيره من الأسبلة .

ومثل هذا الموظف ـ المزملاتي ـ كان يقوم بتزميل المياه وتسبيلها من فوهة البئر سواء كان ماء معين كما في سبيل قايتباي ـ أو محفوظ في صهاريج كما في أسبلة القاهرة ـ لحوض من الحجر المنقور المفتوح في قاعه ثلاث فتحات يتصل بكل منها قصبة ـ ماسورة ـ مغيبة أسفل

أرضية حجرة التسبيل وكل قصبة توصل المياه للحوض الذي يتوسط أرضية كل شباك من شبابيك التسبيل الثلاثة السابق الذكر وحال ملء أحواض هذه الشبابيك(★١٤) بالمياه المعطرة نتيجة وضع المزملاتي لماء الزهر والورد بها يسد الواردين أيديهم بالكيزان والأسطال المربوطة بالسلاسل بمصبعات شبابيك التسبيل وبعد فراغهم من ري ظمأهم يضعون هذه الأسطال على الكتلة الحجرية البارزة التي تتقدم أسفل شبابيك التسبيل .

وفي حالة غلق السبيل كان المزملاتي يقوم بحل السلاسل المربوطة بها الكيزان ويقوم بحفظها في دولاب ـ كتبية ـ بداخل السبيل كما كان يغلق شبابيك التسبيل بمصاريع خشبية ـ خركاوات[١٧] ـ قليلة الارتفاع لمنع من تسول له نفسه تلويث أحواض التسبيل التي كان يقوم بتنظيفها وتبخيرها مع بدايه كل يوم عند بدء تشغيل السبيل لارواء العطشى من رواد الحرم الشريف .

طريقة تهوية السبيل وتجفيفه :

يعتبر هذا السبيل منشأة مائية فعمل المعمار على تأهيلها وتجهيزها بما يساعد على تهويتها وتجفيفها بالتالي ، وأول هذه التجهيزات أن جعل الواجهات الاربع لهذا السبيل تواجه الجهات الاربع الاصلية وفتحة لشبابيك التسبيل المتسعة والمرتفعة بثلاث منها ، بالاضافة لباب الدخول كل هذا يساعد على دخول الهواء وخاصة بكل من الشباك الشمالي والغربي ولا تتم دورة الهواء الا بما يقابلها من فتحة الشباك الجنوبي والباب الشرقي ، ومما يساعد على اكتمال هذه الدورة الهوائية فتح

(★١٤) أنظر اللوحة رقم ١٣ والحوض الموضح بهذه اللوحة يوجد بأرضية الشباك الشمالي الشرقي للسبيل الرئيسي بمجمع قايتباي بالعمرا من القاهرة.

المعمار للاربع قمريات التي تتوسط أضلاع منطقة الانتقال مما جعلها كملاقف تتلقف الهواء من أعلى وهذا يساعد على تهوية حجرة التسبيل وتجفيفها بتيارات الهواء .

كما أن فتح المعمار لشبابيك التسبيل على وجه جدار الواجهات مباشرة يساعد دخول أشعة الشمس مباشرة دون انكسار وخاصة من الشباك الغربي الذي تظل الشمس ترسل أشعتها من خلاله حتى مغيبها لداخل حجرة التسبيل وتزيد فترة بقائها مدة طويلة خلال أشهر الصيف لان نهار الصيف أطول ، أما بالنسبة للجهة الشرقية فتدخل الشمس حال شروقها من خلال فتحة باب الدخول في حالة فتح مصراعه لو جاء المزملاتي مبكرا لتجهيز أدوات التسبيل لبدء يوم جديد ، ولكن أشعة الشروق لا تدوم طويلا ــ وضعيفة نوعا ما ــ لسرعة تحرك الشمس نحو كبد السماء فيكون المصدر الاساسي للتجفيف الحراري هو شباك التسبيل الغربي وعلى كل فان هذا المصدر الحراري بالتضافر مع المصادر الهوائية تعمل سويا لتجفيف داخل حجرة التسبيل كل بطريقته ، ومما يساعد على عملية التجفيف بسرعة أن أرضية حجرة التسبيل كانت مرخمة وطبيعة الرخام لا يمتص الماء ولكن يحتفظ بملمس بارد لانه صخر مائي ولكن مع التهوية والتجفيف الحراري يجف بسرعة ، كما أن وجود الارضية الرخامية تساعد على عملية التنظيف بسرعة بأقل جهد وقدر من الماء ، ولكن هذه الارضية تغيرت أثناء تجديدات السلطان عبد الحميد العثماني وأصبحت من البلاط الجيري الذي يمتص الماءويحتفظ برطوبته مما يجعل أمر تجفيفه بطيئا وتنظيفه أكثر جهدا واحتياجا للماء .

تأصيل لبعض العناصر المعمارية والزخرفية بالسبيل :

قسمنا العناصر التي نريد تأصيلها لمعمارية وزخرفية وعلى رأس المعماري منها :

أ ــ شبابيك التسبيل وتعددها .

ب ــ نواصي منطقة الانتقال وما بها من مثلثات ناتئة « أشكال هرمية » .

جـ ــ القبة المتوجة للسبيل .

أما بالنسبة للزخرفي منها :

أ ــ الجفت اللاعب المحدد لهيئة الشبابيك وباب الدخول للسبيل .

ب ــ الوحدات الزخرفية المغشية لظاهر الخوذة .

تأصيل العناصر المعمارية :

أ ــ شبابيك التسبيل :

بالنسبة لهذه الشبابيك فتحها المعمار كما ذكرنا سابقا على صفحة الواجهة مباشرة(★١٥) دون أن تتقدمها دخلات حتى تقوم بمهمتها خير قيام وحتى يكون بامكانه توسيعها لزيادة فاعليتها ولامكان دخول أشعة الشمس دون انكسار .

وقد حاول المعمار منذ نشأة الأسبلة تعديد شبابيك التسبيل بالأسبلة حتى تقوم بمهمتها خير قيام فجعل هذه الأسبلة تشغل ناصية من المنشأة خاصة واذا كانت تشغل موقع ذات واجهتين على طريقين بحيث يأتي تخطيط السبيل عند التقاء كل من هاتين الواجهتين وبذلك أمكنه فتح شباك للسبيل بكل منها ومن هنا حدث أول تعدد لشبابيك التسبيل وهذا ما نجده بسبيل الناصر محمد(★١٦) الذي ألحقه بمنشأة والده بحي

(★١٥) أنظر اللوحات من رقم ٢ الى رقم ٥ .

(★١٦) أنظر اللوحة رقم ٩ .

النحاسين بالقاهرة ويعود هذا السبيل لسنة ٧٢٦ هـ ــ ١٣٢٥ م ٠

أما لو كانت مثل هذه المنشآت ملاصقة لمبان سابقة فلا مناص من ايجاد شباك واحد للسبيل لانه ذات واجهة واحدة حتى ولو جاء موقعه في طرفها ٠٠٠ ، غير أن المعمار تحايل على مثل هذا الامر بايجاد بروز لتخطيط السبيل بحيث يزيد من واجهاته حتى ولو كانت المنشأة الملحق بها مثل هذا السبيل ملاصقة لمبان أخرى وقد حدث هذا بسبيل السلطان اينال الملحق بمجمعه(★[١٧]) بالصحرا شرق القاهرة ويعود هذا السبيل لسنة ٨٦٠ هـ ــ ١٤٥٦ م والمثل الثاني لهذا الابتكار اتضح بسبيل نفس السلطان بالقدس « والذي نحن بصدده » ولكن مع الفارق من حيث موقع كل منهما فالاول ملحق بمجمع كبير وكانت مهمة ابراز واجهاته عن السور المحيط بهـذا المجمع على المعمار شبه صعبة ، أما بالنسبة للثاني ونعني به سبيل القـدس فان معمار اينال تمرس بسبيل مجمع القاهرة كما أن طبيعة أرض الحرم المقدس المتسعة مع وجود هذا السبيل مستقل كل هذا ساعد على تيسير مهمة المعمار في فتح ثلاث شبابيك به كقرينه بمجمع القاهرة ، وقد ورث هذا الابكتار معمار قايتباي ونفذه بسبيل لهذا السلطان بمنطقة تحت الربع من القاهرة غير أن هذا السبيل اندثر الآن الا أن الرحال بريس دافن كتب عنه في مجلده عن الفن العربي وجاء باحث حديث وهو الدكتور حسني نويصر ونسب هذا الابتكار لمعمار قايتباي وذكر أن أول سبيل ذات ثلاث شبابيك كان سبيل قايتباي بتحت الربع ، غير أن ما أتبتناه يصحح ما ذكره الدكتور حسني نويصر في رسالته للماجستير وهي رسالة متخصصة عن أسبلة السلطان قايتباي بالقاهرة ٠

واذا كان معمار قايتباي قد نفذ مثل هذا الابتكار الموروث مـن

(★[١٧]) أنظر شكل رقم ٢ ولوحة رقم ١١ ٠

معمار اينال بمثل واحد بالقاهرة فانه اتبع خطاه في تجديد سبيل القدس الذي يعود أيضا لنفس عهد اينال ، وقد ورث معمار الغوري مثل هذا الابتكار ونفذه بأكثر من مثل أولها السبيل الملحق بمجمع خايربك ٩٠٨ هـ ـ ١٥٠٣ م « بمنطقة باب الوزير » ، والسبيل الملحق بقبة طراباي الشريقي(★[١٨]) ٩٠٩ هـ ـ ١٥٠٣ م وهو بنفس المنطقة السابقة والسبيل الملحق بمجمع السلطان الغوري(★[١٩]) ٩٠٩ : ٩١٠ هـ ـ ١٥٠٣ : ١٥٠٤ م « بمنطقة الغورية والجميع بالقاهرة » .

ب ـ نواصي منطقة الانتقال :

أما بالنسبة لنواصي منطقة انتقال قبة هذا السبيل فهي عبارة عن ثلاث شطوف مرتبة بحيث تأخذ هيئة مثلث قمته لأسفل وقاعدته لأعلى وأبرز المعمار بكل شطف منها شكل هرمي ناتىء ومثل هذه الاشكال الهرمية انما وليدة نواصي مناطق انتقال المآذن لا بمصر والشام وانما بالاناضول فقد ظهرت بمنطقة انتقال كل من مأذنتي مدرسة هفت منار ٦٥١ هـ ـ ١٢٥٣ م « بأرضروم » ومئذنة مدرسة أنج منار ٦٥٦ هـ ـ ١٢٥٨ م « بقونية بآسيا الصغرى » ، ونظرا لان امتداد القاعدة المربعة لمثل هذه المآذن هو ربع امتداد تربيع القباب كما أن ارتفاع نواصي مناطق انتقال المآذن يكون محدودا حتى يعطي فرصة للبدن للارتفاع فقد شغل المعمار مثل هذه النواصي بشكل هرمي ناتىء بكل منها لا كما يوجد بنواصي مناطق انتقال القباب من تعدد لمثل هذه الاشكال الهرمية .

وقد انتقلت مثل هذه الاشكال الهرمية لمآذن القاهرة أيضا وذلك في العصر المملوكي البحري وكان أول ظهور لها بنواصي منطقة انتقال

(*١٨) أنظر شكل رقم ٩ .

(*١٩) أنظر شكل رقم ١٠ .

مئذنة علي بدر الديـن القرافي ٧٠٠ : ٧١٠ هـ ـ ١٣٠٠ : ١٣١٠ م « بالقرافة الصغرى » ، أي بعد ظهورها بمآذن آسيا الصغرى والأناضول بحوالي نصف قرن ، ثم توالت في الظهور في العصر البحري بمئذنة مسجد شيخو العمري ٧٥٠ هـ ـ ١٣٤٩ م « بالصليبة » ، وبمئذنـة مدرسة أم السلطان شعبان ٧٧٠ هـ ـ ١٣٦٨ م « بالتبانة » .

وانتقل نفس العنصر لمآذن العصر المملوكي الجركسي وظهر بنواصي منطقة انتقال مئذنة مجمع الظاهر برقوق(★٢٠) ٧٨٦ : ٧٨٨ هـ ـ ١٣٨٤ : ١٣٨٦ م « بمنطقة بين القصرين » وبمئذنة مدرسة جمال الدين يوسف الأستادار ٨١١ هـ ـ ١٤٠٨ م « بالجمالية » ، وبمئذنتي مسجد المؤيد شيخ ٨١٨ : ٨٢٣ هـ ـ ١٤١٥ : ١٤٢٠ م « بباب زويلة » ، وبمئذنة مسجد جاني بك ٨٣٠ هـ ـ ١٤٢٦ : ١٩٢٧ م « بالمغربلين » ـ وحول هذا التاريخ السابق بدأ هـذا العنصر يتضح بنواصي مناطق انتقال القباب ـ ، وبمئذنة مدرسة القاضي يحي زين الدين ٨٤٨ هـ ـ ١٤٤٤ م « بمنطقة بين النهدين » ، وبمئذنة مسجد لاجين السيفي ٨٥٣ هـ ـ ١٤٤٩ م « بشارع ماراسينا بالسيدة زينب » ، وبمئذنة مسجد القاضي يحي زين الدين ٨٥٦ هـ ـ ١٤٥٢ م « بالحبانية » ، وبمئذنة يشبك بن مهدي ٨٨٣ هـ ـ ١٤٧٨ م « بالأمام الليث بن مسعد » وبمئذنة مدرسة قايتباي ٨٨٦ هـ ـ ١٤٨١ م « بالروضة » .

واذا كان ابتكار مثل هذه الاشكال الهرمية الناتئة بنواصي مناطق انتقال المآذن يرجع الفضل فيهـا لفكر المعمار السلجوقي بالاناضول وآسيا الصغرى وتلقفها المعمار المملوكي بمصر والشام ونفذها بنواصي مناطق انتقال المآذن أيضا فانه بدأ يظهرها بنواصي مناطق انتقال القباب وهذا تطبيق في مناطق لم يطرقها المعمار السلجوقي وتحسب كابتكار

(★٢٠) أنظر اللوحة رقم ١٠ .

للمعمار المملوكي من حيث اظهارها في مثل هذه النواصي ، وقد بدأ العمار المملوكي تطبيق هذا العنصر بنواصي مناطق انتقال القباب منذ نهاية الثلث الاول من القرن التاسع الهجري ــ الخامس عشر الميلادي أي في عهد السلطان الاشرف برسباي وكانت أول قبة يطبق فيها هذا العنصر هي قبة الامير جاني بك ٨٣١ هـ ــ ١٤٢٧ م « بالقرافة الشرقية الكبرى » ونظرا لان طبيعة امتداد التربيع السفلي للقباب أكبر من تربيع قواعد المآذن السابقة فقد زاد المعمار حجم الشكل الهرمي بنواصي انتقال القباب أربع أضعاف حجمه بنواصي انتقال المآذن والذي ساعد على ذلك أيضا محاولته لايجاد نسبة وتناسب بين ارتفاع الشكل الهرمي وحطات منطقة انتقال القبة من الداخل .

وقد نفذت مثل هذه الأشكال الهرمية بنواصي انتقال كل من القباب الآتية :

قبة السبع بنات ٨٥٤ هـ ــ ١٤٥٠ م « بقرافة قايتباي » وقبة الأشرف اينال ٨٥٥ هـ ــ ١٤٥٠ م « بقرافة الخفير » ، وقبة أزدمر ، نهاية القرن ٩ هـ ــ ١٥ م « بقرافة العفيفي » والقبة التي تعرف خطأ بقبة قرقماس نهاية القرن ٩ هـ ــ ١٥ م « بباب الفتوح وهدمت وأعيد بناؤها بحري قبة جاني بك بالقرافة الشرقية الكبرى » وقبة جانم البهلوان(★٢١) ٩١٦ هـ ــ ١٥١٠ م « بالمغربلين » .

وانتقل نفس العنصر للقباب التي بنيت على النسق المملوكي في الفترة العثمانية وظهر بالقباب الآتية :

قبد الامير سليمان ٩٥١ هـ ــ ١٥٤٤ م « بصحن منشأة برسباي البجاسي بالقرافة الشرقية الكبرى » وقبة ابراهيم خليفة جنديان

(★٢١) أنظر اللوحة رقم ٢٢ .

١٠٠١ هـ ــ ١٥٩٣ م « بالتبانة » وقبة الطحاوي ١٠٩٨ هـ ــ ١٦٨٦ م « بقرافة الامام الشافعي » .

واذا كان هذا الشكل الهرمي ظهر بنواصي مناطق انتقال القباب منذ نهاية الثلث الاول من القرن التاسع الهجري ــ الخامس عشر الميلادي واستمر بها حتى نهاية القرن الحادي عشر الهجري ــ السابع عشر الميلادي فان المعمار أدخل عليه تطوير قبل نهاية القرن التاسع الهجري ــ الخامس عشر الميلادي وهذا التطوير عبارة عن تقنين حجم الشكل الهرمي بحيث جعله المعمار في حجم نظيره بمناطق انتقال المآذن وهذا استدعى منه تعديده في كل ناصية من نواصي مناطق انتقال القباب التي تتسع وترتفع عن نظيرتها في المآذن وقد اتضح مثل هذا التطور في نواصي منطقة انتقال القبة الملحقة بمدرسة قجماس الاسحاقي ٨٨٥ : ٨٨٦ هـ ــ ١٤٨٠ : ١٤٨١ م وتاريخ انشاء هذه القبة هو نفسه تاريخ اعادة بناء سبيل القدس الذي نحن بصدده مما يبين التآثير القاهري بهذا السبيل ، وقد نفذ المعمار بكل ناصية من نواصي منطقة انتقال قبة قجماس وقبة سبيل القدس ثلاثة أشكال هرمية ناتئة بحيث تنتظم في مستويين المستوى الاول شكل هرمي واحد والمستوى الثاني اثنان وقد نفذ هذا النظام بقبة العادل طومان باي(★٢٢) ٩٠٦ هـ ــ ١٥٠١ م « بالعباسية » ، وقد أزاد المعمار هذا النظام تطورا في قبة قانصوه أبو سعيد(★٢٣) ٩٠٤ هـ ــ ١٤٩٩ م « بالقرافة الشرقية » بحيث جعل في كل ناصية ثلاث مستويات يستوعب السفلي شكل هرمي والثاني اثنان والثالث ثلاثة أشكال هرمية ، وقد نفذ مثل هذا النظام بنواصي منطقة انتقال قبة الرسول بالمدينة المنورة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام

(★٢٢) أنظر اللوحة رقم ١٩ .

(★٢٣) أنظر اللوحة رقم ١٨ .

الا أن مثل هذه الطفرة لم تتكرر في العصر المملوكي ولكن نفذت في العصر الحديث في كل من قبة أحمدماهر والنقراشي وقبة الزعيم مصطفى كامل « بالقاهرة » .

. . .

الا أن الامر استقر بعد هذه الطفرة وعاد كما كان مستويان فقط مع بعض التصرف وذلك بكل من قبة خاير بك(★٢٤) ٩٠٨ هـ ـ ١٥٠٢ م بحيث جعل بالمستوى الاول شكل معين ناتىء قليلا يمتد لبداية وسط المستوى الثاني الذي به الشكلين الهرميين ، ومثل هذا النظام نفذ بنواصي منطقة انتقال قبة آزرمك ٩٠٩ هـ ـ ١٥٠٤ م « بالقرافة الشرقية الكبرى » .

ان أن هذا النظام بدأ يتضح به تأثير عثماني كان قد نفذه معمار آسيا الصغرى بنواصي مناطق انتقال المآذن فطور ما قد بدأه سلفه السلجوقي بها وعدّد الاشكال الهرمية الذي كان على حساب حجمها الذي زاد رشاقة وكان هذا التعدد في مستوى واحد فتلقف المعمار المصري المملوكي هذا التطوير ونفذه هذه المرة بنواصي مناطق انتقال القباب مباشرة دون أن يجعل نواصي انتقال المآذن كمحل للتجريب حيث أن أسسها ونظمها المعمارية كانت قد استقرت وتمصرت ولم تصبح عرضة للتغيير بشكل سريع لا كما حدث عند دخول مثل هذه الاشكال الهرمية لأول مرة .

ولكن هذا التأثير العثماني امتصه المعمار المصري المملوكي ومثّله وأظهره بصيغة تخالف أصله قليلا وذلك نظرا لما يملكه من خبرة سابقة قد اكتسبها طوال قرنين فظهرت الاشكال الهرمية القديمة في المستوى

(★٢٤) أنظر اللوحة رقم ٢٠ .

الثاني دون تغيير الا أنها ازدادت رشاقة وظهر التطوير بشكل سافر في المستوى الاول على هيئة امتدادين رشيقين يحصران بينهما أخدود قليل الغور وقد اتضح هذا النظام بالقبة الملحقة بمجمع قاتي باي أمير آخور ٩٠٨ هـ ١٥٠٣ م « بدرب اللبان » بالقبة الملحقة بمجمع الغوري ٩٠٩ : ٩١٠ هـ ــ ١٥٠٣ : ١٥٠٤ م « بالغورية » وبقبة بيبرس الخياط ٩٢١هـ ــ ١٥١٥ م « بالجودرية » ، كما امتد هذا التأثير في الفترة العثمانية وظهر بالقبة الملحقة بمسجد المحمودية ٩٧٥ هـ ــ ١٥٦٨ م « بالقلعة » .

جـ ــ القبة وتتويجها للسبيل :

ان تتويج هذا السبيل بقبة انما يأتي في المقام الاول للملاءمة بينه وبين مباني هذا الحرم المقدس الذي أراد المعمار أن يوجد بينهما انسجام فقبة الصخرة تقع خلفه والقبة التي تعلو محراب المسجد تقع الى الجنوب منه بالاضافة لبعض القبـاب الاخرى الواقعة بين هذا السبيل وقبة الصخرة على رأسها قبة محراب النبي ، قبة يوسف ، قبة موسى ، قبة سليمان ، قبة محراب داود[١٣] ، ومن هنا وجد المعمار نظرا لحساسيته المرهفة أن خير ما يناسب هذا السبيل هو تتويجه بمثل هذه القبة لايجاد الانسجام المنشود بينه وبين باقي قباب الحرم ، وقد مر المعمار المملوكي في الفترة البحرية بنفس التجربة عند الحاق الناصر محمد لسبيله بمنشأة أبيه فتوج هذا السبيل بقبة خشبية(★٢٥) وهذا يرجع أيضا للملاءمة بينه وبين قباب المنشآت الاخرى الواقعة حوله فقبة الصالح نجم الدين الى الشرق منه وقبة المنصور قلاوون الى الشمال الشرقي وقبة ابن الناصر محمد على نفس السمت والاتجاه ومن هنا نجد أن المعمار تصرف في كلا الموضعين بشكل موحد نظرا لتشابه الملابسات بينها .

(★٢٥) أنظر اللوحة رقم ٨ .

ولكن اتخاذ القبة في كل من المثلين السابقين انما يرجع لعدم تنفيذ المعمار لوحدة الكتّاب فوق كل منها وهذا ما أعطاه الفرصة لاظهار مثل هذا التويج الجميل وهي نفس ملابسات السبيل التركي العثماني ولكن هذا لا يجعلنا نجزم بوجود تأثير عثماني بهذا السبيل من حيث تتويجه بقبة فان قبة السبيل العثماني خشبية وتلك حجرية كما أن قبة السبيل العثماني ذات قطاع نصف دائري وقميئة وغير مزدانة بأي زينة(★[٢٦]) أما قمة السبيل الذي نحن بصدده فذات قطاع مدبب ومزدانة زينة نباتية رشيقة(★[٢٧]) ، اذ أن المعمار المملوكي تصرف فيها كما تصرف في القباب الجنائزية التي نفذها في مصر(★[٢٨]). والشام فصب في قبة هذا السبيل ما اختزنه من خبرات اكتسبها خلال بنائه لقباب السلاطين والامراء وكانت النتيجة في النهاية هي استخدام جديد للخوذة فوق بناية خيرية لا جنائزية .

وبعد أن انتهينا من تأصيل بعض العناصر المعمارية بسبيل القدس نبدأ في تأصيل الشق لآخر ونعني به العناصر الزخرفيه التي على رأسها :

أ ـ الجفت اللاعب(★[٢٩]) :

ان تحديد الشبابيك بهذا السبيل وما يعلوها من أعتاب بالاضافة لعتب باب الدخول اليه بهذا العنصر انما هو من ابتكار معمار قايتباي لا اينال الذي كان لدى معماره نفس العنصر ولكن استخدمه في أماكنه

(★٢٦) أنظر اللوحة رقم ٧ .

(★٢٧) أنظر اللوحة رقم ٤ .

(★٢٨) أنظر اللوحات رقم ١٤ ، ١٥ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ .

(★٢٩) أنظر اللوحات رقم ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ .

التقليدية من حجور مداخل وعقود ايوانات وأعلى رقاب القباب ولكنه لم يستخدمه على جانبي شبابيك التسبيل بسبيله الملحق بمجمعه بالصحراء شرق القاهرة كما أنه من المعتقد لم يتم استخدامه أيضا بسبيله المندثر بالقدس ، وجاء معمار قايتباي وأدخل شبابيك التسبيل بالأسبلة ـ ومن ضمنها سبيل القدس ـ ضمن الفتحات التي احتواها الجفت اللاعب وأول سبيل ظهر به عنصر الجفت اللاعب هو سبيل قايتباي الملحق بمدرسة مجمعه بالصحراء والذي يعود لسنة ٨٧٩ هـ ـ ١٤٧٤ م ولكن هذا الجفت لم يحدد جانبي شباكي التسبيل ولكن حدد عتبيهما فقط ولكن لما صادف ظهور هذا العنصر نجاحا بأعلى عتبي شباكي السبيل السابق مدهما المعمار على جانبي شباكي تسبيل قايتباي ٨٨١ هـ ـ ١٤٧٧ م « بالازهر » ثم بشباك السبيل الملحق بمدرسة أبو بكر بن مزهر ٨٤٨ هـ ـ ١٤٧٩ : ١٤٨٠ م « بيرجوان » وبشباكي سبيل قايتباي الذي بني بنفس السنة السابقة « بالصليبة » ، ثم نفذ نفس العنصر على جانبي وأعلى الشبابيك الثلاثة لسبيل القدس عند اعادة بنائه في عهد قايتباي ومنذ عهد هذا السلطان الذي تبنى معماره ادخال الجفت في زينة فتحات شبابيك التسبيل صارت تلك الزينة علما عليها وانتشرت على أسبلة أمراء عصره وامتدت لأسبلة السلطان الغوري وأمراءه أيضا بل والأسبلة التي بنيت على النسق المملوكي في الفترة العثمانية حتى بداية القرن ١٣ هـ ـ ١٩ م وجاء معمار محمد علي وقلب الامور واتبع نهجا آخر في زينة شبابيك الأسبلة .

ب ـ زخارف قبة السبيل(★٣٠) :

هذه الزخارف ذات الطابع النباتي التي نفذها الحفار بظاهر خوذة هذا السبيل انما هي نتاج خبرته التي اكتسبها من خلال أعماله بخوذ

(★٣٠) أنظر اللوحة رقم ٤ .

القباب الجنائزية بمصر ، واذا كانت مثل هذه الزينة تنفذ بباطن هذه الخوذ منذ العصر الفاطمي واستمر بها الحال كذلك طوال العصر الايوبي والمملوكي البحري وأوائل الجركسي فانه لم يستطع أن يعلنها بشكل يليق بها بظاهر الخوذ الا في بداية الثلث الثاني من القرن التاسع الهجري ـ الخامس عشر الميلادي وذلك في عهد السلطان برسباي حين نفذ حفاره مثل هذه العناصر النباتية بشكل متجرد بقبتـه الملحقة بمجمعه بظاهر القاهرة ٨٣٥ هـ ـ ١٤٣٢ م ، وهذا العنصر النباتي ما هو الا زهرة ذات ثماني بتلات تتوسط أشرطة حجرية بارزة متقاطعة تكوّن طبقا نجمياً ذات ترس نباتي الطابع وصل به الحفار للتجرد التام بكل من خوذة القبة الملحقة بالحوش الجنائزي بمجمع السلطان برسباي السابق وخوذة قبة الامير جاني بك الواقعة خارج الحوش الجنائزي السابق ذكره .

ولكن أول خوذة قبة ذات طابع نباتي كامل هي خوذة القبة الملحقة بمدرسة جوهر القنقبائي بالازهر قبل ٨٤٤ هـ ـ ١٤٤٠ م وقد نفذت بيد حفار عهد برسباي أيضا وقد تطور أمر هذه الوحدات النباتية على يد حفار قايتباي حيث صغرت وحداتها ووضحت تفاصيلها الداخلية ونفذت بهذا الوضع بقبة أولاد قايتباي(★٣١)« الشهيرة بقبة الكلشني » قبل ٨٧٩ هـ ـ ١٤٧٤ م وهي ملاصقة لمجمع السلطان قايتباي بالصحراء بظاهر القاهرة ثم نفـذ الحفار قبة قايتباي(★٣٢) التي دفن بها بنفس النسق السابق ، ولكن مع اضافة الاشرطة الحجرية التي اتضحت بقبة برسباي ولكن بشكل أكثر اراحة للرأي وتأخذ أيضا أشكالا نجمية تستوعب الوحدات النباتية ولكن دون أن تكوّن طبقا نجميا واضح المعالم .

(*٣١) أنظر اللوحة رقم ١٤ .

(*٣٢) أنظر اللوحة رقم ١٥ .

ولما اكتسب الحفار مثل هذه الخبرات قام بتنفيذها بخوذة سبيل القدس ولكن دون تحديدها بالاشرطة الحجرية كما أن وحداتها النباتية أقل كثافة مما هي عليه بقبة أولاد قايتباي .

وتطورت هذه الوحدات النباتية بعد ذلك مع تحديدها بالاشرطة الحجرية التي اتخذت أوضاعا لينة فبدلا من اتخاذها الاشكال النجمية كما في قبة السلطان قايتباي اتخذت أشكال النجاريات وظهرت بقبة العادل طومان باي(★٣٣) ٩٠٦ هـ ـ ١٥٠١ م « بالعباسية » ، ثم تلاها مثل ذات نجاريات مضفورة النواصي بقبة خاير بك(★٣٤) الملحقة بمجمعه ٩٠٨ هـ ـ ١٥٠٢ م « بباب الوزير » ولكن الامثلة التي تلتها لم تستخدم الضفر بل تخلت عنه وهذا ما وضح بخوذة قبة قاتي باي أمير آخور الملحقة بمجمعه ٩٠٨ هـ ـ ١٥٠٣ م « بدرب اللبانة » ، وخوذة قبة جانم البهلوان(★٣٥) الملحقة بمسجده ٩١٦ هـ ـ ١٥١٠ م « بالمغربلين » واستمر هذا النظام في بداية العصر العثماني بخوذة قبة الامير سليمان ٩٥١ هـ ـ ١٥٤٤ م « بحوش منشأة برسباي البجاسي » بالقرافة الشرقية بظاهر القاهرة ، أي أن أمر نجاريات هذه الخوذ عاد كما كان بخوذة طومان .

واذا كان مثل هذا النظام السابق ذات وحدات نباتية كثيفة ويحدد أغلبها أشرطة حجرية فان الحفار نفذ نظاما مبسطا يتكون من وريقات ثلاثية متداخلة بشكل متكرر وذلك بكل من خوذة قبة عبد الله المنوفي ٨٧٩ هـ ـ ١٤٧٤ م بالجهة القبلية من مجمع السلطان قايتباي «بالصحراء» وبخوذة آزرمك ٩٠٩ هـ ـ ١٥٠٤ م « بقرافة العفيفي » .

(*٣٣) أنظر اللوحة رقم ١٩ .

(*٣٤) أنظر اللوحة رقم ٢٠ .

(*٣٥) أنظر اللوحة رقم ٢٢ .

تاثير سبيل قايتباي بالقدس على قبة عصفور(★٣٦) بصحراء القاهرة ٩١٢ هـ ـ ١٥٠٦ م :

اذا كانت جميع الوحدات المعمارية والزخرفية لسبيل القدس مقتبسة من آثار وعمائر القاهرة فان التجربة التي خاضها المعمار فيه أكسبته خبرة تنجت عنها قبة الامير عصفور المواجهة لخانقاه الناصر فرج حيث تشبه سبيل القدس في صغر المساحة وارتفاع الواجهات ورشاقة الخوذة أما من حيث التفاصيل فيختلف كل منها عن الآخر كما أن المعمار المملوكي نفذ بها وحده سبيل لا يعلوه كُتّاب وغطاه بقبة حجرية ضحلة لا يظهر كيانها من الخارج .

السبيل في كتب المؤرخين ولوحات الرسامين الاجانب ومؤلفات الاثريين المحدثين العرب والاجانب :

رغم أهمية هذا السبيل من الناحية المعمارية والاثرية الا أن الاهتمام به لم يكن كافيا حيث أن ما ورد عنه في المؤلفات التاريخية كان محدودا للغاية فذكره مؤرخ بيت المقدس « مجير الدين الحنبلي » في مؤلفه عن هذه المدينة المقدسة في عبارة محدودة نصها : « ومن جملة ما عمره الملك الاشرف قايتباي السبيل المقابل لها ـ أي مقابل المدرسة الأشرفية ـ بداخل المسجد فوق البئر المقابل لدرج الصخرة الغربي وكان قديما على البئر المذكورة قبة مبنية بالحجارة كغيرها من الآبار »(١٤) .

هذه العبارة السابقة رغم قصرها الا أنها مفيدة للغاية فقد أمدتنا بمعلومات عما كان عليه حال البئر قبل بناء السبيل عليه اذ كان يعلوه قبة حجرية كبقية الآبار المنتشرة بمنطقة الحرم ، كما أن مجير الدين كان

(★٣٦) أنظر اللوحة رقم ٢١ .

دقيقا في تعبيره حين قال : « ومن جملة ما عمّره الملك الاشرف قايتباي السبيل » ، وهذا يدل على أن هـذا السلطان قام بتعمير سبيل كان موجودا من قبل وهو سبيل اينال ولما وجده خربا معطلا فأمر باصلاحه(١٥) وتعميره حتى يعود لأداء وظيفته كما كان ، ولو كان التعبير قاصرا وغير دقيق كعبارة « لانشاء أو لبناء » لاختلفت النتيجة واعتبر السبيـل من انشاءاته لا من تعميراته ولكن الذي يؤكد دقة عبارة مجير الدين هو وجود جزء من نص انشاء السلطان اينـال لهذا السبيل باقية حتى الآن .

كما أن تحديد مجير الدين لموقع السبيل كان دقيقا للغاية اذ يذكر في تحديده له : « بداخل المسجد ـ أي بداخل ساحة الحرم ـ فوق البئر المقابل لدرج الصخرة الغربي » ، كما أن المعلم الذي ذكره مجير الدين في عبارته السابقة لم يتغير حتى الآن وهو الدرج المؤدي للباب الغربي لقبة الصخرة ، وبذلك نعتبر مجير الدين ليس مؤرخا فقط ولكن كاتب خطط أيضا من الطراز الاول في المشرق الاسلامي .

هذا بالنسبة لما ذكره مجير الدين الحنبلي مؤرخ وكاتب خطط بيت المقدس ورغم أن ما ذكره غير موضّح بصور فانه كان واضحا ودقيقا للغاية .

ولكن بالنسبة للوحات التي بغير عبارات فانها أكثر تعبيرا وصدقا ومن هذه اللوحات التي سجلت السبيل لوحة(★٣٧) رسمت سنة ١٨٧٥ وتمثل منظر عام له .

ويتضح في هذه اللوحة اختفاء بعض العناصر وذلك بفعل عاديات الزمن أو أعمال التجديد فمن هذه العناصر التي لم توضحها اللوحة نتيجة

(★٣٧) أنظر اللوحة رقم ٢ .

لعدم وجودها وقت تسجيلها ... الدرج المؤدي لشباكي التسبيل ، والذي أعادت تركيبه دائرة الآثار الفلسطينية حديثا فعاد كما كان قديما وقت الانشاء .

أما العناصر التي وضحتها اللوحة وأزيلت حاليا بفعل أعمال الترميم الحديثة فهي البرور الخشبية المحددة لفتحات شبابيك التسبيل والمثبت بها المصبعات المغشية لهذه الشبابيك ، ويعتبر ازالتها ضياع لعنصر مهم من المعتاد وجوده بشبابيك الأسبلة بمصر والشام والاراضي الحجازية.

أما ما سجلته اللوحة بالنسبة لزينة أعتاب الشبابيك من زخارف هندسية[١٦] فهي غير موجودة حاليا والموجود صنجات مركبة مرزرة تسير تبعا للنظام المشهر ، فمن المعتقد أن مثل هذه الزينة أزيلت مع صنج الأعتاب القديمة أثناء عمليات الترميم الحديثة .

واذا كانت هذه اللوحة أفادتنا كثيرا في معرفة حال السبيل في أواخر القرن ١٩ م وأمدتنا بمعلومات عن وحدات وعناصر مهمة اختفت حاليا ، فان الرسام لم يرسم خوذة قبة هذا السبيل بصدق فان الصور واللوحات الحديثة تبين لنا الخوذة وهي ذات قطاع مدبب ممتد بينما في اللوحة القديمة التي نحن بصددها تبينها وهي ذات قطاع مخموس « منتفخ الوسط » وهي في ذلك مثلها كالقباب الهندية البصلية الشكل ، وان كان الرسام قد سجل الزخارف المغشية لظاهرها بصدق ودقة .

ولكن نعود لقطاع الخوذة فانه لو كانت الخوذة مندثرة حاليا وهذه اللوحة هي المصدر الوحيد للمرممين فانهم يستوحون شكلها من خلال هذه اللوحة وفي ذلك خطأ فادح تجرهم اليه تلك اللوحة !

واذا كان كل من المصدرين السابقين على مستوى الدقة مع التجاوز بالنسبة لشكل الخوذة في اللوحة فان ما ذكر في المؤلفات الاثرية الحديثة

عن هذا السبيل يكاد لا يصل للمستوى الادنى منها ، فقد وردت عبارة عنه بكتاب الفنون والوظائف[١٧] للدكتور حسن الباشا نصها : « وقد أرسل السلطان قايتباي في سنة ٨٨٦ هـ : ١٤٨١ م الى القدس جماعة من المهندسين ضمن بعثة من المتخصصين في صناعة البناء وذلك لانشاء مدرسة وقبة السبيل بها » .

فبالنسبة للتاريخ الذي ورد بتلك العبارة فغير دقيق لان أعمال هدم مدرسة السلطان خشقدم والتي قبلها السلطان قايتباي من الامير حسن الظاهري بدأت سنة ٨٨٤ هـ واعادة حفر أساساتها بدأ في ١٤ شعبان سنة ٨٨٥ هـ[١٨] ولا بد وأن يكون المهندسين والبنائين موجودين في موقع العمل قبل البدء في حفر الاساسات لعمل التصميم اللازم لعمليات الانشاء فيكون ارسالهم أوائل العام أو منتصفه أي في سنة ٨٨٥ على وجه التقريب لا سنة ٨٨٦ هـ كما جاء في العبارة ، وبذلك نعتبر التاريخ الذي ورد بتلك العبارة هو تاريخ بداية الانتهاء من اعادة بناء كل من المدرسة والسبيل لا بداية ارسال جماعة المهندسين .

أما بالنسبة للشق الاخير من العبارة السابقة فغير دقيق أيضا لان الغرض من ارسال المهندسين ليس انشاء مدرسة جديدة للسلطان قايتباي ولكن لاعادة بناء مدرسة الظاهر خشقدم التي قبلها من الامير حسن ولم تعجبه لما حضر الى القدس سنة ٨٨٠ هـ ، كما أن هذا الامر ينطبق على سبيل اينال الذي كان في الغالب لا يقوم بمهمته بأمر بتجديده واعادة بنائه كلية لا بناء القبة فقط كما ورد في العبارة ولو افترضنا أن أعمال بناء القبة فقط فرضت على المعمار اعادة بناء أعلى الواجهات ونقش النص الحالي بالسبيل والذي يعود لعهد قايتباي فماذا عن وجود الجفت اللاعب الذي لم يتضح بشبابيك التسبيل قبل عهد هذا السلطان[١٩] ومن هنا نجد جماعة المهندسين جاءوا لاعادة بناء السبيل ككل لا قبته فقط كما ورد في العبارة .

أما بالنسبة للشق الاوسط في العبارة السابقة وهو « ارسال جماعة المهندسين ضمن بعثة من المتخصصين في صناعة البناء » فهذا واضح من التأثيرات القاهرية في كل من المدرسة والسبيل وقد أوضحناه بشكل جلي فيما يختص بالاخير .

أما ما ورد عن السبيل ببحث الدكتور عبد اللطيف ابراهيم وهو بحث وثائقي عن « مدرسة قايتباي بالقدس والجامع بغزة » فجاء مقتضبا للغاية ونصه : « كما بنى ـ أي قايتباي ـ سبيلا له قبة »[٢٠] . من هذه العبارة القصيرة أجمل الدكتور عبد اللطيف توصيف السبيل مع بيان أهم مميزاته وهو تتويجه بقبة ولكنه وقع في خطأ وهو تقريره بأن قايتباي هو الباني الاول لهذا السبيل وميزة وجود القبة من ملكة معماره ولكن ما أوضحناه في البحث أن اينال هو الباني الاول للسبيل وتتويجه بقبة من ملكات أفكار معماره[٢١] .

كما ورد نص عن السبيل بكتاب[٢٢] الاستاذ محمود العابدي بشكل موجز أيضا اذ يقول : « وله ـ أي لقايتباي ـ في ساحة الحرم السبيل الرائع الغني بزيناته وزخارفه ولا سيما هذه القبة الشامخة والتعشيق بالحجارة الملونة على نوافذه بأشكال هندسية أو على أشكال الزهر ».

من هذا النص يتضح لنا أن مؤلفه عالجه معالجة أثرية فنية رغم أن السبيل تحفة معمارية أيضا تقتضي منه العناية بمكوناته وعناصره المعمارية ولكن يعتبر هذا النص من أكثر العبارات والنصوص التي تضمنتها الكتب الاثرية المحدثة وضوحا ولكن ينقصه الدقة في بعض أجزائه خاصة الذي يعالج التعشيق بالحجارة الملونة على النوافذ ، فان هذا التعشيق هو بأعلى النوافذ وذلك بالاعتاب المتوجة لها لان عبارة : « على النوافذ » توحي بأن هذا التعشيق يغشى النوافذ لا يعلوها وشتان بين المعنيين وعبارة : أشكال هندسية المقصود بها تزرير الصنج المعشقة

التي اتخذت أطرافها التواءات عبّر عنها هو « أشكال هندسية » أما بالنسبة لباقي التعبير « أو على أشكال الزهر » فتعبير ليس في محله ولا يوجد مجال للتقريب بينه وبين ما يوجد بأعتاب هذا السبيل مثلما فعلنا بالنسبة للشق الاول من التعبير الا اذا كان يصف الزخارف المغشية لخوذة القبة ولكن لا يقصد هذا كما هو واضح من العبارة .

واذا كان ما ورد في الكتب الاثرية السابقة عبارة عن نصوص وعبارات محدودة لا تفي وتعطي هذا السبيل حقه فان هذا السبيل أخذ حقه من الدراسة ضمن رسالة للماجستير قام بها الباحث جلال أسعد ناصر وهي تحت عنوان : « عمائر السلطان قايتباي في بيت المقدس[٢٣] »، فوصف هذا الباحث السبيل وبيّن تخطيطه وتكلم عن نص الانشاء وما تضمنه بالاضافة لبقايا نص اينال مع بيان للوحدات الزخرفية به ورغم هذا الجهد فانه لم يكمله على الوجه الاكمل من حيث تأصيل العناصر المعمارية لهذا السبيل من حيث التخطيط وتعدد شبابيك التسبيل ونواصي منطقة الانتقال وزخارف القبة وتأثرها بزخارف القباب الجنائزية بمصر بل لم يقم بأي محاولة لمعرفة تصميم سبيل اينال المندثر رغم أن المحور الرئيسي لهذه الرسالة هو السبيل والمدرسة فقط ، فوجدنا لزاما علينا استكمال هذا النقص ، فكان نتاجه هذا البحث عله يسد شيئا لا بالنسبة لهذه الرسالة ولكن بالنسبة للمجال الاثري عموما .

وقد أدلى الأثريون الاجانب بدلوهم في تناول هذا السبيل وكانوا كنظرائهم العرب من حيث الاقتضاب والاخطاء فتناوله برجز (Briggs) في مؤلفه عن عمارة مصر وفلسطين[٢٤] بقوله : « في أورشليم »(بيت المقدس) يوجد هناك سبيل بالحرم الشريف يقترن دائما باسمه ولكن تاريخه غير معروف وان كان سالادان ذكر أن بنائه كان في سنة ١٤٤٥ م ، وقبة هذا السبيل مغشاة بزخارف نباتية « أرابسك » منسابة بشكل متتابع توحي بتاريخ متأخر » .

في هذا النص يعترف برجز بعدم معرفته التاريخ انشاء السبيل وان كان قد حاول عن طريق زخارف القبة التي أوحت له بتأريخ متأخر عما ذكره سالادان (١٤٤٥ م) وبرجز في هـذه الحالة صادق الحـدس والتخمين وقادته ملكته الاثرية الصادقة لمثل هذا الغرض الذي أثبتت الابحاث صدقه بعد مضي ما يقرب من نصف قرن على اعلانه اياه و ... كان برجز حصيفا اذ لم يذكر مدى التأخير بل تركه هلامي عائم يشكله من يجد المستند التاريخي الصحيح والذي نستطيع تحديده الآن بأربعين سنة عن تاريخ سالادان وذلك بعد نضوج عملية البحث التاريخي والاثري الذي تم حول هذا السبيل .

أما بالنسبة لما ذكره سالادان عن تاريخ انشاء السبيل فخطأ حتى ولو قربناه لعهد اينال الذي تولى السلطنة ٨٥٧ هـ ـ ١٤٥٣ م أي بفارق ثماني سنوات عما ذكره سالادان ولكن هذا السبيل كما أوضحنا من تعمير قايتباي بعد أن أزال ما بناه اينال . وهذا يزيد الفارق بأكثر من أربعين سنة .

ويعرض ما كتبه المؤرخون العرب ولوحات الرسامين ومؤلفات الاثريين المحدثين تكتمل حلقات هذا البحث الذي عرضنا فيه وجهة نظرنا فيما كتبه غيرنا وسردنا رأيا فيه بكل وضوح فيما يختص بتخطيط السبيل في عهد اينال وقايتباي وتكوين واجهاته ومنطقة انتقال الخوذة وهيئـة الخوذة وما يغشيها من زخارف وتأصيـل للعناصر المعمارية والزخرفية بالسبيل ، وطريقة تشغيله وتهويته فنرجو أن نكون قد وفيناه حقه حتى يخلد كأثر قائم في قدسنا السليب ويخلد في ذهن أجيالنا من خلال هذا البحث المتواضع .

والله ولي التوفيق .

الحـواشي

١ ـ لم نذكر ما قام به سلاطين الجراكسة من انشاءات بمدينة القدس بل اكتفينا بذكر ما أقاموه داخل الحرم المقدس فقط ٠

٢ ـ راجع : مجير الدين الحنبلي : الأنس الجليل جـ ٢ ص ٤٤٠ ـ ٤٤١ م رشاد الامام : مدينة القدس في العصر الوسيط ص ٧١ ٠

٣ ـ يوجد ستة مساجد بساحة الحرم خلاف المسجد الأقصى ، راجع : عبد الحميد زايد : القدس الخالدة ص ٢٦١ ٠

٤ ـ راجع : جلال أسعد ناصر : عمائر السلطان قايتباي في بيت المقدس جـ ١ ص ١٢٦ وما بعدها « رسالة ماجستير محفوظة بالمكتبة العامة لجامعة القاهرة ومكتبة كلية الآثار بنفس الجامعة » ٠

٥ ـ راجع : عبد اللطيف ابراهيم : وثيقة السلطان قايتباي « دراسة وتحليل » المدرسة بالقدس والجامع بغزة ص ٣٩٧ (مستخرج من كتاب المؤتمر الثالث للآثار في البلاد العربية المنعقد في فاس نوفمبر ٥٩)

٦ ـ راجع : الحنبلي : نفس المرجع السابق جـ ٢ ص ٦١٨ ٠

٧ ـ راجع : عبد اللطيف ابراهيم : نفس بحثه السابق ص ٣٩٧ ، يذكر الدكتور عبد اللطيف ابراهيم في بحثه السابق أن قايتباي قام ببنائها ولكنه في الحقيقة أعاد بناء هذه المدرسة وهذا يفرق كثيرا في التعبير ٠

٨ ـ راجع : الحنبلي : نفس مرجعة السابق جـ ٢ ص ٣٨٨ ٠

٩ ـ راجع :

Dived Robert : Egypt and Nubia, Ebars : Egypt Descriptives Pectorisque. p.p 287.

١٠ ـ الصهريج هو خزان المياه المبنى في تخوم الأرض بالآجر ومونة مانعة لتسرب تسمى « خافقي » ويأخذ الصهريج نفس مساحة السبيل ـ ان لم يكن أكبر ـ من حيث الاستطالة أو التربيع حيث توزع لها أعمدة أو دعامات لاقامة السقف الذي يغطى بقباب ضحلة تكون كأرضية لحجرة السبيل ، ولهذا الصهريج ثلاث فتحات الأولى لماء بالمياه والثانية لأخذ المياه منه والثالثة لتنظيفه ٠

١١ ـ راجع : الحنبلي : نفس مرجعه السابق جـ ٢ ص ٦٦١ ٠

١٢ ـ هي أجزاء خشبية متحركة توضع على شبابيك التسبيل لغلقها ٠

١٣ ـ راجع : عبد الحميد زايد : نفس مرجعه السابق ص ٢٦٢ ٠

١٤ ـ راجع : الحنبلي : نفس مرجعه السابق جـ ٢ ص ٣٨٨ ٠

١٥ ـ هذه خصلة حميده في هذا السلطان الذي كان خيره صابغا على أجزاء سلطنته فعمَّر وأصلح وبنى كثير من الصهاريج والآبار والأسبلة ٠ كما أنه أصلح كثير من العيون وعلى رأسها عين عرفات بعد اقطاعها أكثر من قرن وأصلح بئر زمزم ، راجع : عبد اللطيف ابراهيم : نفس بحثه الساق ص ٣٩٦ ٠

١٦ ـ ان وجود مثل هذه الزخارف الهندسية بأعتاب شبابيك التسبيل أمر قد رأيناه قبل ذلك بعتبى شباكي السبيل الملحق بمسجد تمراز الأحمدي ٨٧٦ هـ ـ ١٤٧٢ م « بالسيد زينب بالقاهرة » ٠

١٧ ـ راجع : حسن الباشا : الفنون الاسلامية والوظائف على الآثار العربية جـ ٣ ص ١١٥٩ ٠

١٨ ـ راجع : الحنبلي : نفس مرجعه السابق جـ ٢ ص ٣٨٧ ـ ٣٨٨ .

١٩ ـ راجع : ص ٣٣ ـ ٣٤ من هذا البحث بخصوص هذا العنصر .

٢٠ ـ راجع : عبد اللطيف ابراهيم : نفس بحثه السابق ص ٣٩٧ .

٢١ ـ راجع : ص ٦ ـ ٧ من هذا البحث بخصوص هذه القبة .

٢٢ ـ راجع : محمود العابـدي : الآثـار الاسلامية في فلسطين والأردن ص ١١٨ ـ ١١٩ .

٢٣ ـ راجع : جلال ناصر : نفس رسالته السابقة ص ١٢٦ وما بعدها .

٢٤ ـ راجـع :

Briggs : Muhammadan Arch., in Egypt and Palestine. p. 125.

كتالوج الأشـكال واللوحات

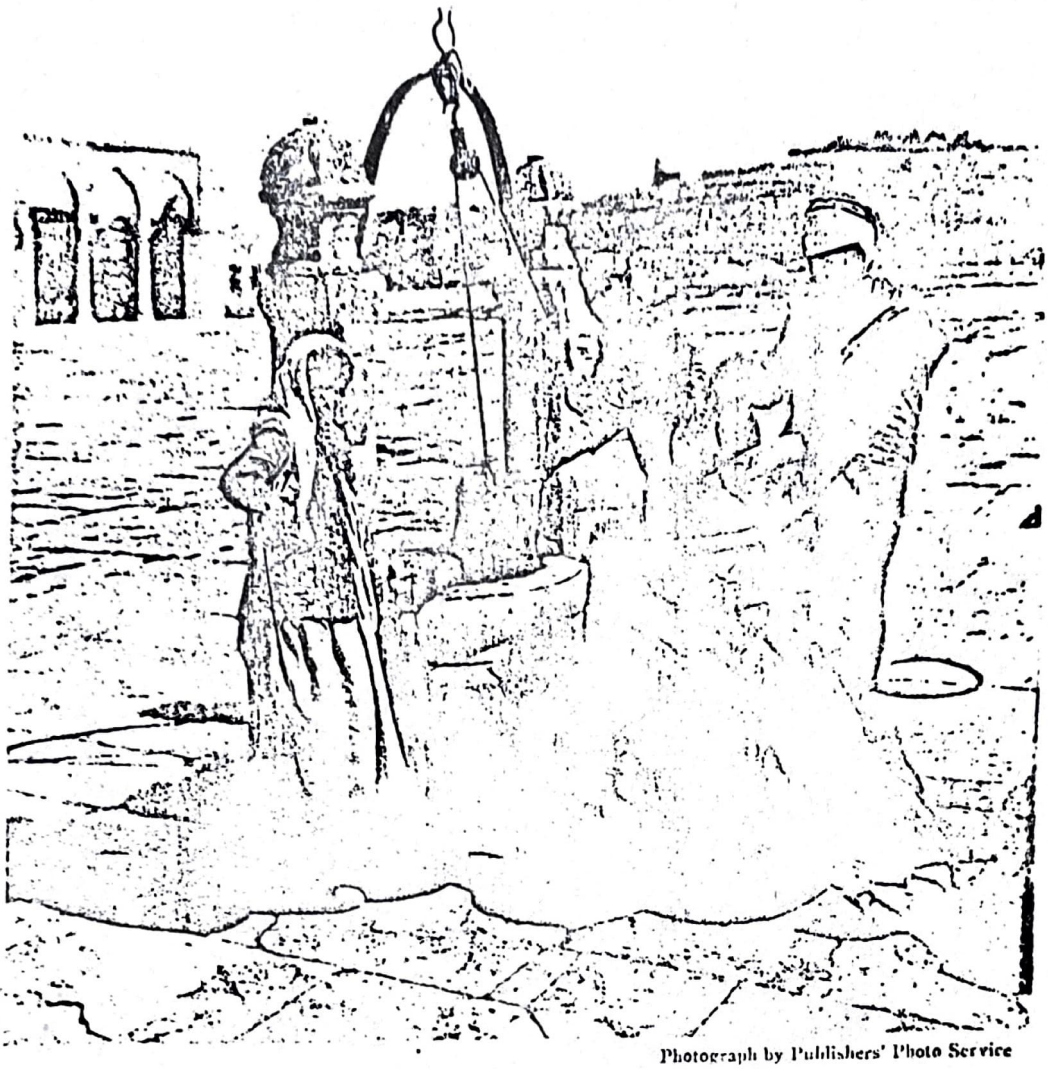

Photograph by Publishers' Photo Service

لوحة رقم (١)

أحد الآبار المنتشرة في ساحة حرم القدس وقد ركّب على فوهته حلق وخرزة ، على جانبيها أسطونين مثمنين يعلوهما تاجان على هيئة « القمقم » يحصران بينهما قوس حديدي تتدلى منه بكرة بها سلبه مركب بطرفها سطل لجلب الماء من البئر ، ونرى السقائين وهم يملؤون القرب المصنوعة من جلد الماعز لتوزيعها على الاحياء السكنية بالمدينة المقدسة .

ووضع هذا البئر كوضع بئر سبيل اينال ـ قايتباي فيما بعد قبل انشاء الكيان المعماري عليه ، الا أن بئر السبيل كان يعلوه قبة حجرية صغيرة كما يذكر مجير الدين الحنبلي مؤرخ بيت المقدس .

هذه الصورة نقلا عن مجلة :

National Geographic Cociety.

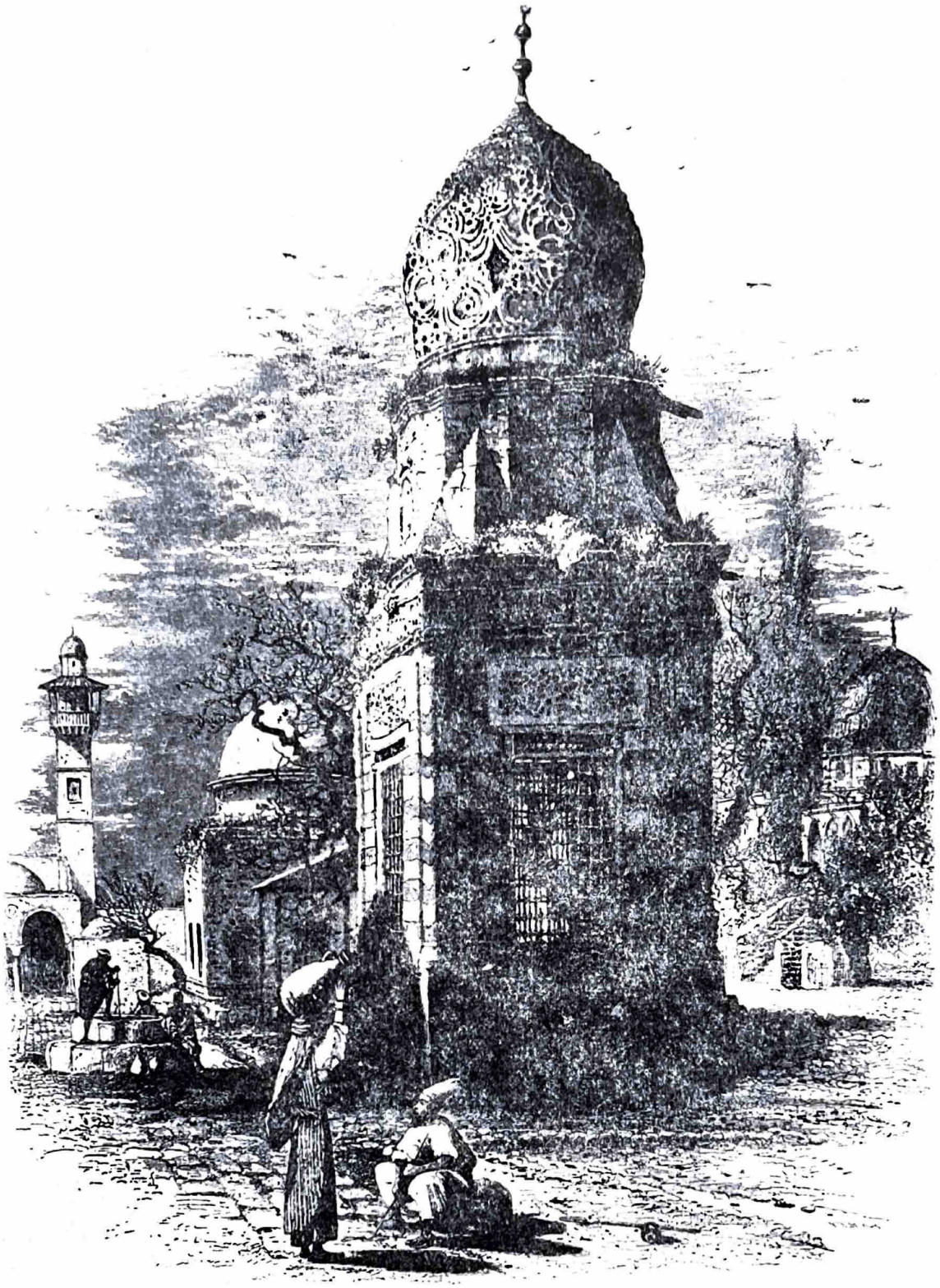

لوحة رقم (٢)

الواجهة الجنوبية والغربية لسبيل السلطان قايتباي نهاية سنة ٨٨٦ هـ ـ ١٤٨١ م بالحرم الشريف بالقدس وقد فتح بكل منهما شباك للتسبيل

نقلا عن لوحة قديمة رسمت للسبيل سنة ١٨٧٥ م ٠

(من ارشيف الفنان أحمد المنتي ـ دمشق)

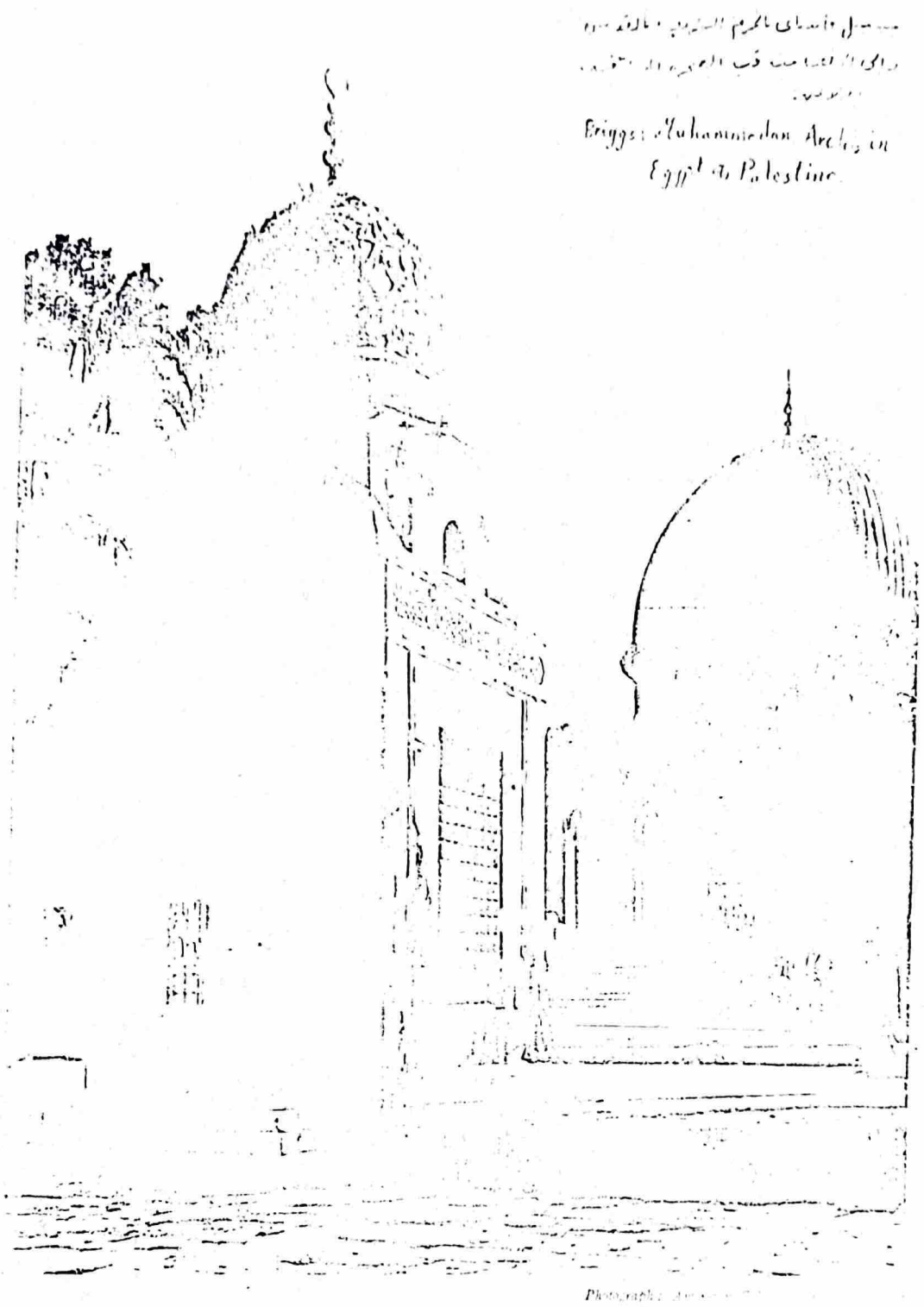

لوحة رقم (٣)

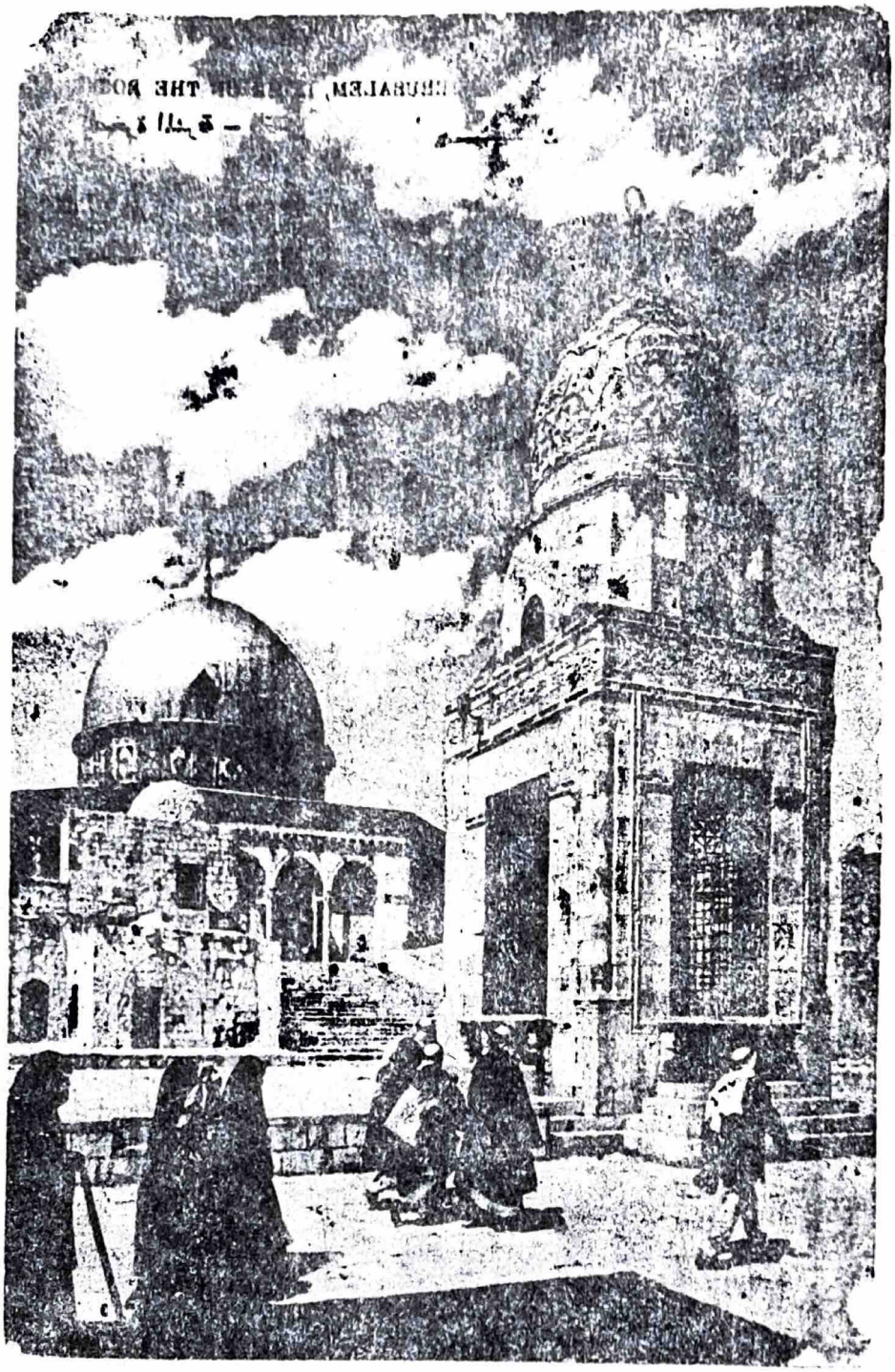

لوحة رقم (٤)

سبيل قايتباي بحرم القدس الشريف وقد زينت خوذته بالزخارف
النباتية المحفورة في الحجر

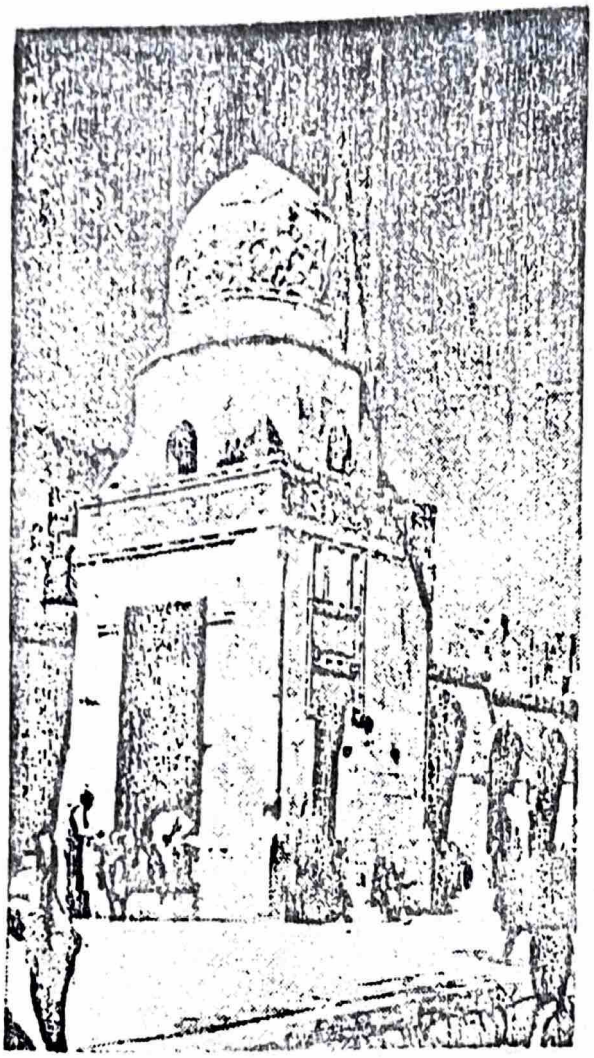

لوحة رقم (٥)

الواجهتين الشرقية والجنوبية لسبيل قايتباي بحرم القدس الشريف وقد فتح بالاولى
باب الدخول لحجرة السبيل وبالثانية شباك للتسبيل

نقلا عن : د. عبد اللطيف ابراهيم : وثيقة السلطان قايتباي ، دراسة وتحليل »

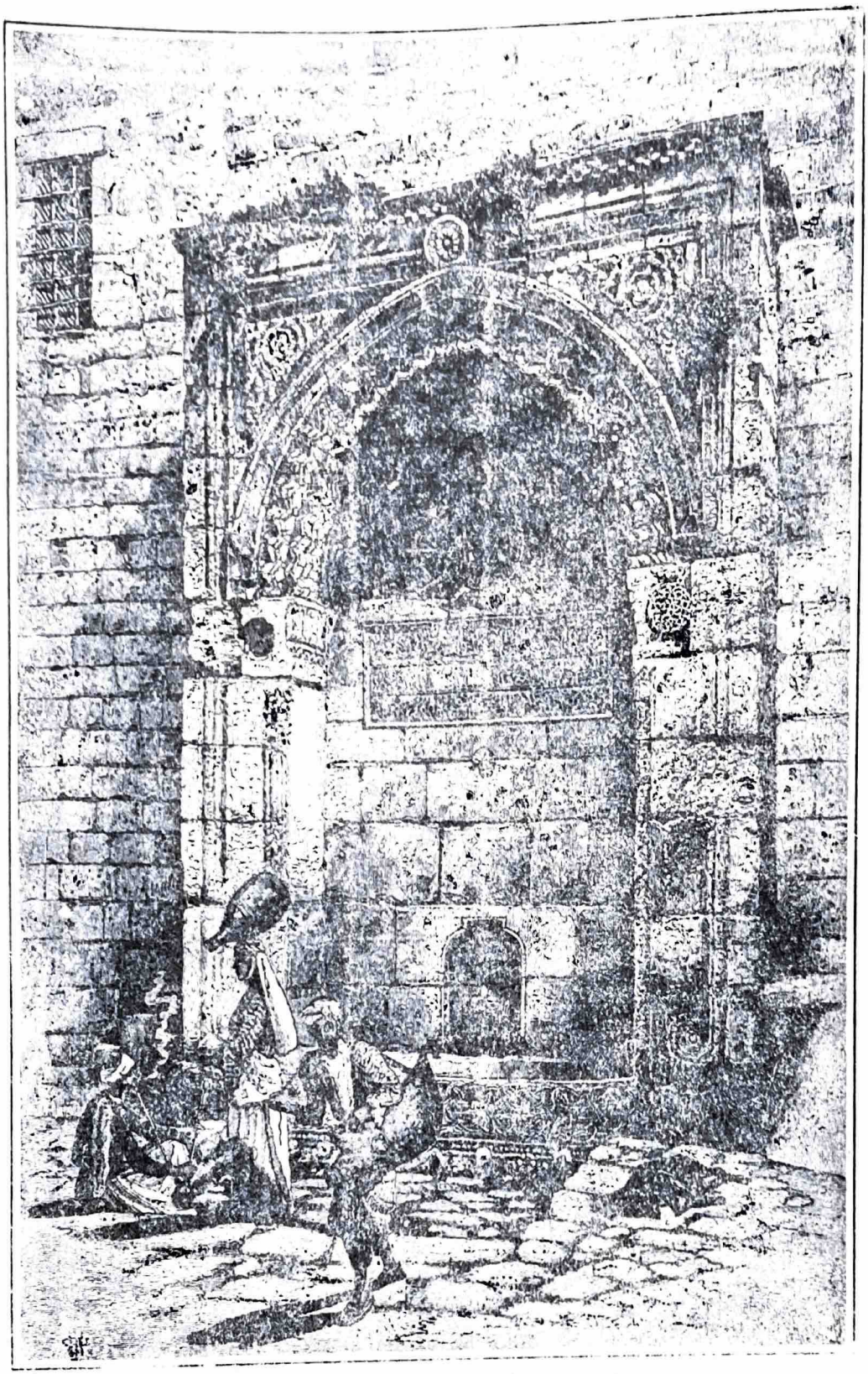

لوحة رقم (٦)

سبيل باب السلسلة وهو على طراز الاحواض « التشممه التركية » لا على طراز الأسبلة العثمانية

نقلا عن : لوحة قديمة رسمت له سنة ١٨٧٥ م.

من ارشيف الفنان أحمد المفتي ـ دمشق

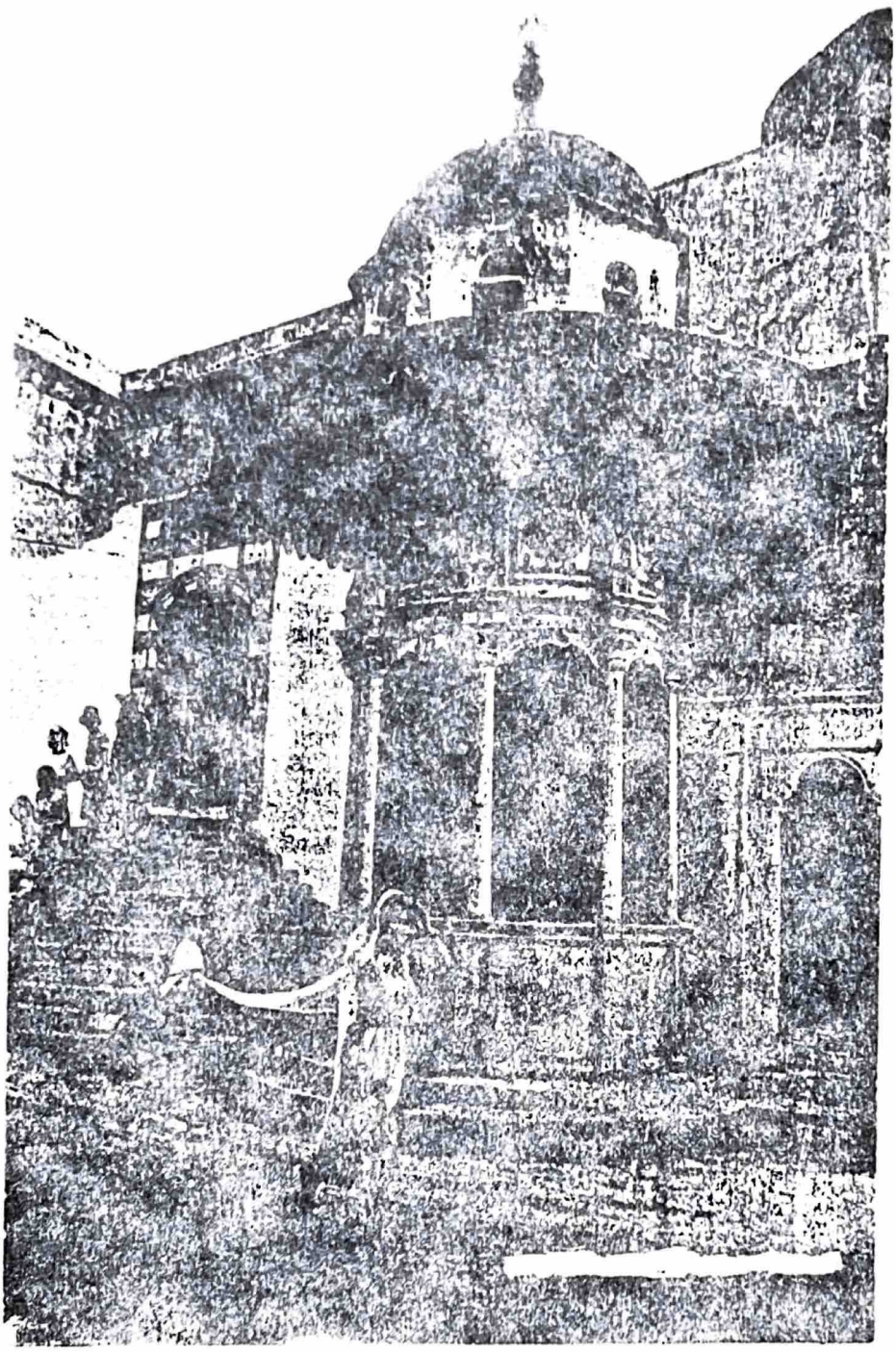

لوحة رقم (٧)

مسجد عبد الله الجزار (بعكا) وقد ألحق المعمار بواجهته الرئيسية سبيل على الطراز العثماني ذات خمسة شبابيك للتسبيل ويتوج هذا السبيل قبة خشبية مصفحة بالرصاص يعلوها قائم ذات هلال ، وهذا السبيل يشبه وضع سبيل قايتباي بالقدس من حيث تتويج كل منهما بقبة ولكن يختلفا من حيث التقاليد والاساليب المعمارية التي اتبعت في كل منهما

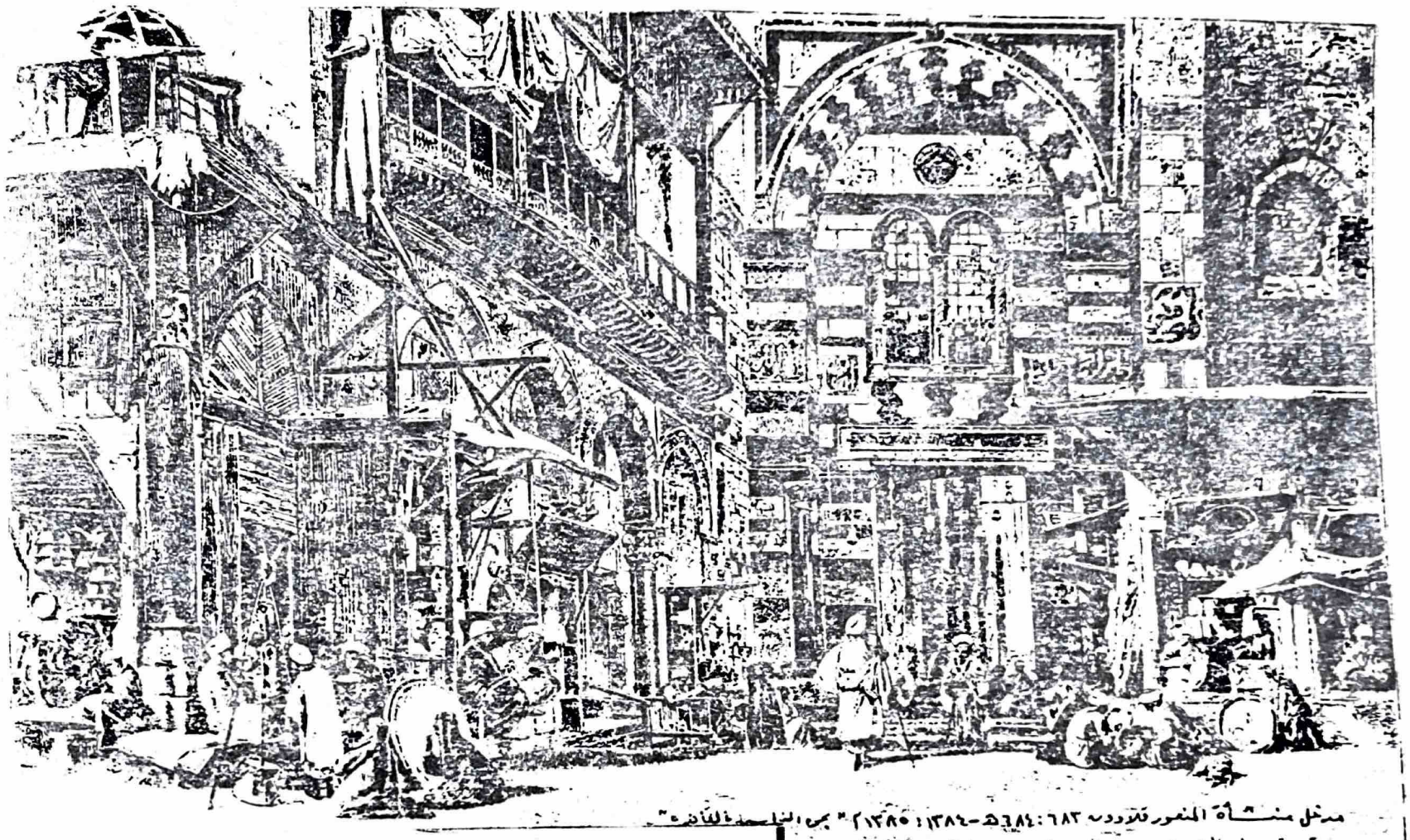

مدخل منشأة المنصور قلاوون ٦٨٣ : ٦٨٤هـ - ١٢٨٤ : ١٢٨٥م " بين القصرين " القاهرة
ويتقدمه يسار الصورة سبيل الناصر محمد الذى الحقه بخانقاه وتربته
- وقد حوّل إلى حانوت لبيع النحاس خلال القرن ١٩ - يعلوه بقايا القبة المزججة .

Descriptive & Pectorisque.

لوحة رقم (٨)

لوحة رقم (٩)

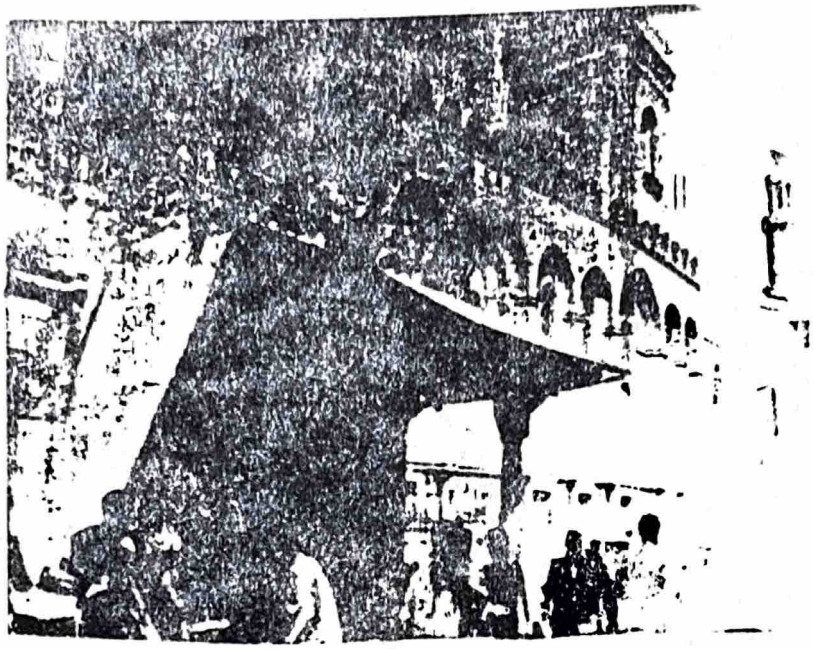

سبيل الناصر محمد وقد أُخلي مما كان يشغله بالإضافة لإنذار بقايا الغطاء الخشبي للنوافذ المتوجة له والتي سجلها إيبرس "وصفها" في كتابه .

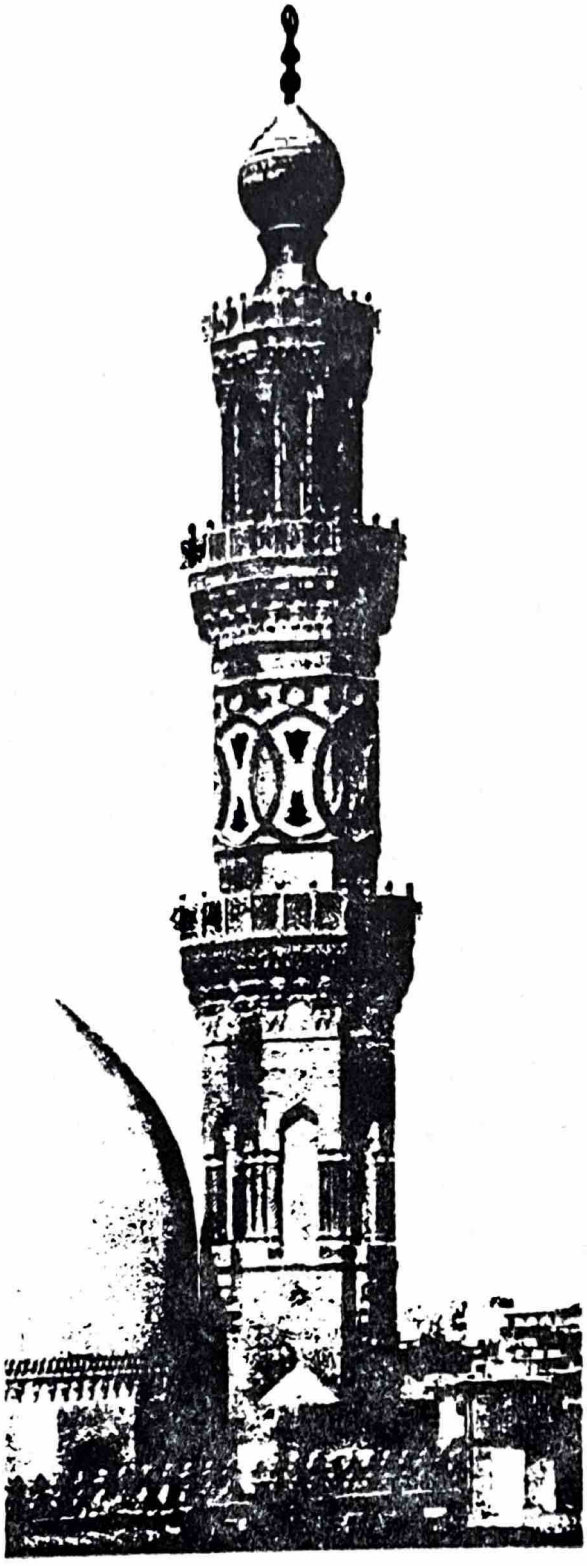

لوحة رقم (١٠)

مئذنة منشاة السلطان الظاهر برقوق ٧٨٦ : ٧٨٨ هـ ـ ١٣٨٤ : ١٣٨٦ م

« بحي القصرين بالقاهرة » وقد شغلت كل ناصية من نواصي انتقالها بشكل هرمي ناتيء

من ارشيف الفنان أحمد المفتي ـ دمشق

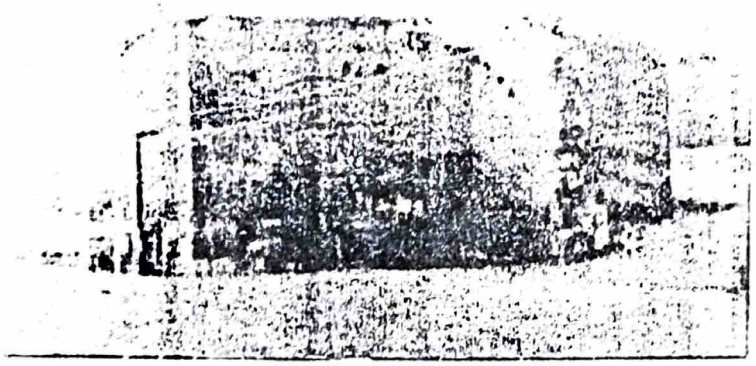

لوحة رقم (١١)

الواجهتين الجنوبية الشرقية والشمالية الشرقية لسبيل مجمع اينال وقد فتح بكل منها شباك للتسبيل بالاضافة للواجهة الشمالية الغربية

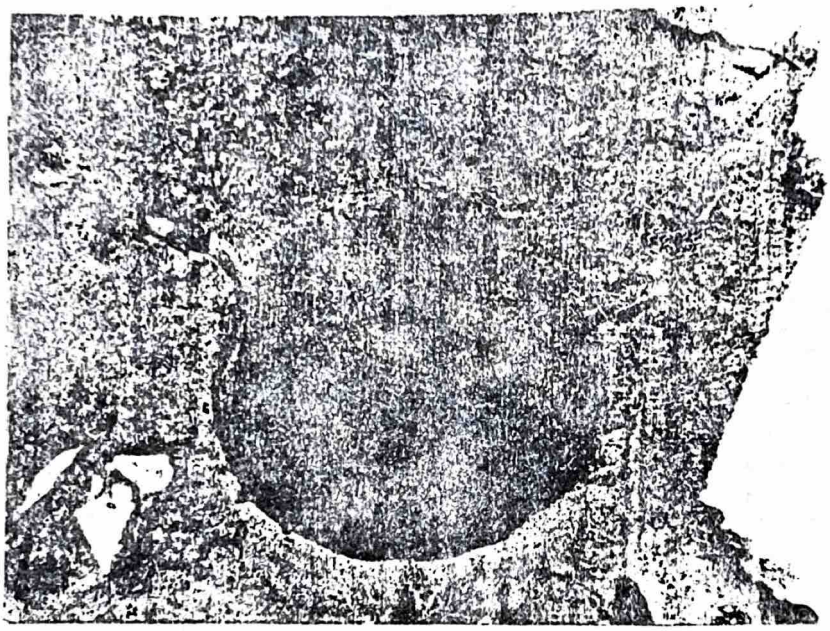

لوحة رقم (١٢)

فتحة الصهريج تتوسط أرضية حجرة التسبيل بسبيل مجمع اينال

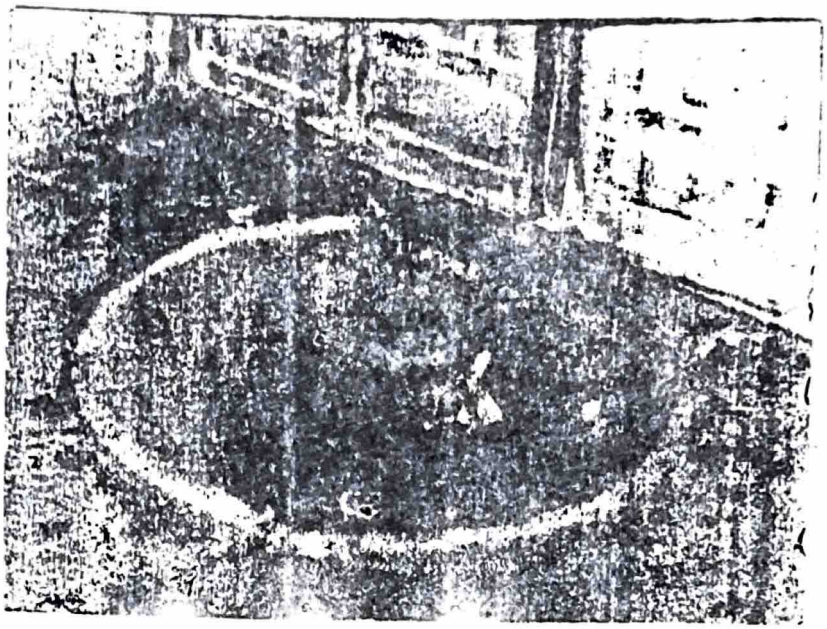

لوحة رقم (١٣)

حوض رخامي نصف كروي الشكل بارضية الشباك الشمالي الشرقي لسبيل

مجمع قايتباي السابق ذكره

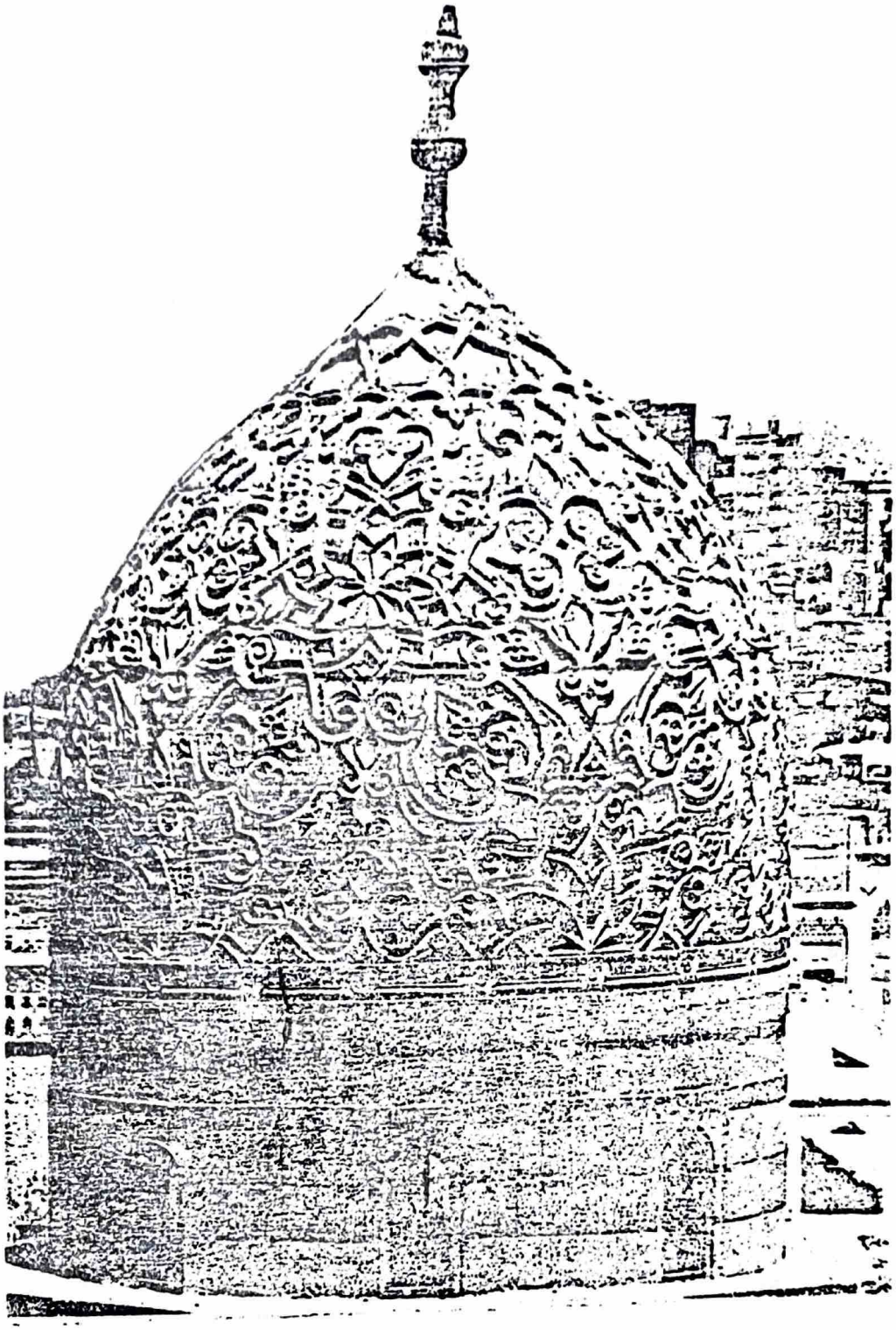

لوحة رقم (١٤)

خوذة قبة أولاد قايتباي الشهيرة « بقبة الكلشني » الملحقة بمجمعه السابق
وقد زينت بزخارف نباتية مركبة

نقلا عن :

Kessler, (C) : The Carved Masonry Domes of Mediaeval Caito.

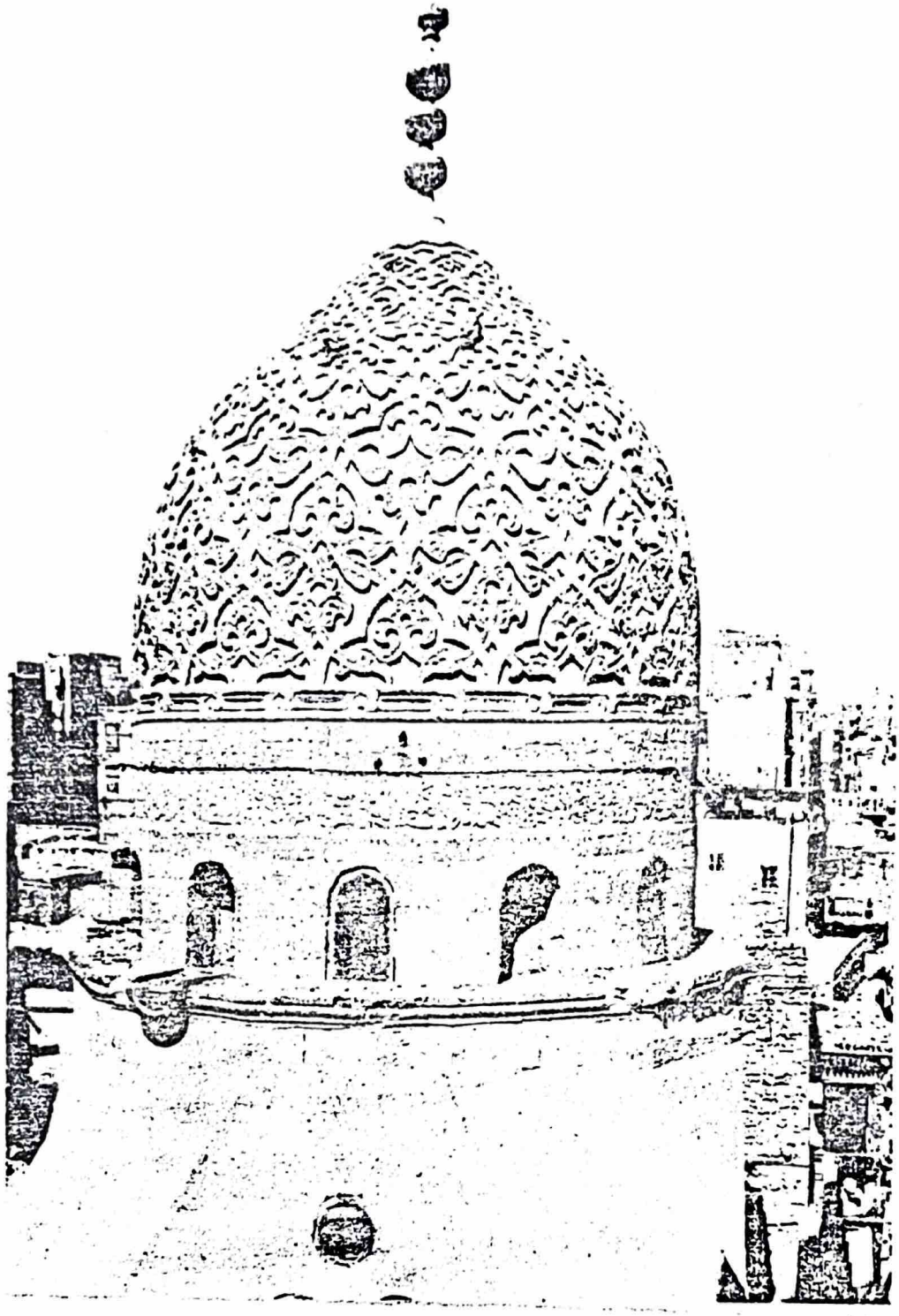

لوحة رقم (١٥)

خوذة قبة السلطان قايتباي الملحقة بمجمعه السابق وقد زينت بزخارف نباتية مركبة مع تعديدها باشرطة حجرية بارزة على هيئة نجيمات

من ارشيف الفنان أحمد المفتي ـ دمشق

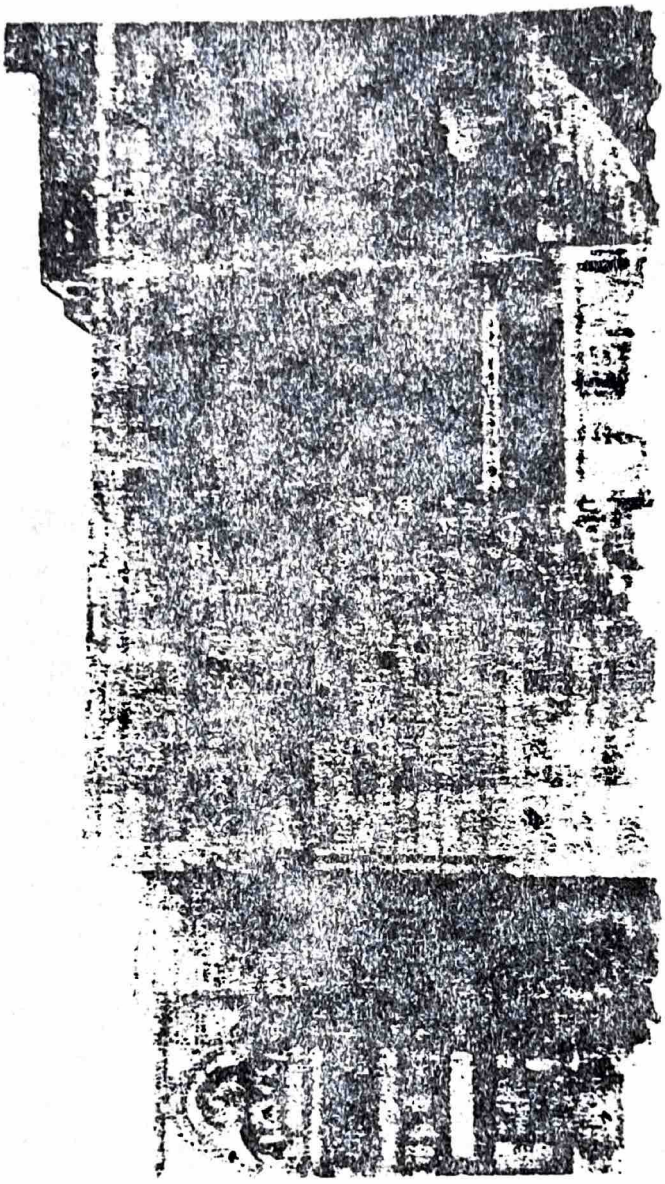

لوحة رقم (١٦)

شباك التسبيل الذي يتوسط الواجهة الشمالية الغربية لسبيل قايتباي السابق ذكره

لوحة رقم (١٧)

شباك التسبيل الذي يتوسط الواجهة الجنوبية الغربية لسبيل قايتباي السابق

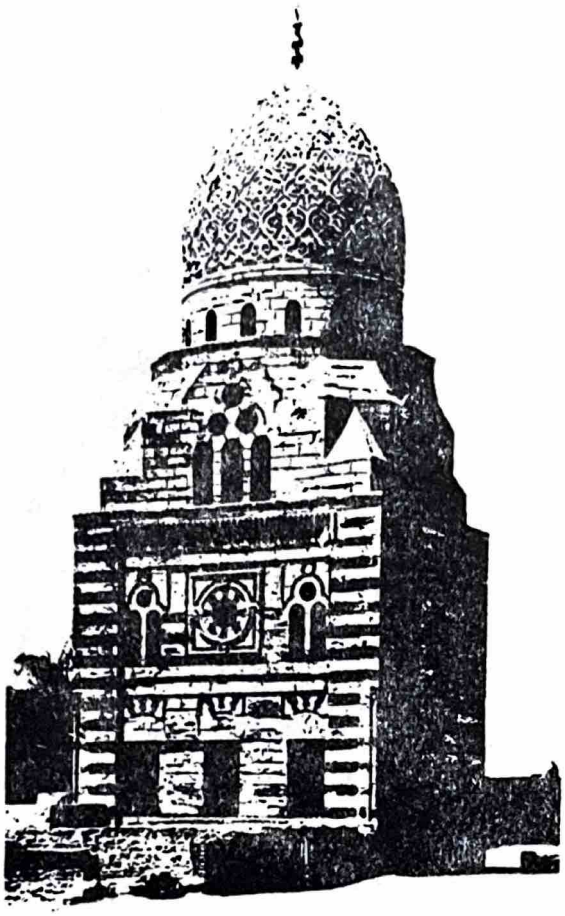

لوحة رقم (١٨)

قبة السلطان قانصوه أبو سعيد ٩٠٤ هـ ـ ١٤٩٩ م « بقرافة الخفير من القاهرة »
وقد شغلت نواصي منطقة انتقالها بثلاثة مستويات من الاشكال الهرمية الناتئة وهذا يعتبر
قمة التطور في هذا الاسلوب

من ارشيف الفنان أحمد المفتي ـ دمشق

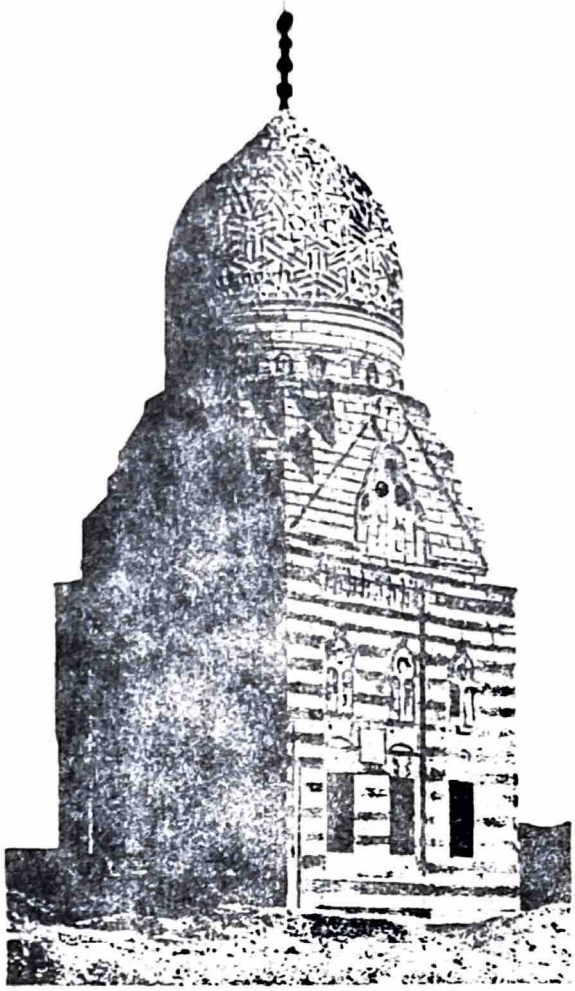

ضريح السلطان قصوه أبوسعيد

لوحة رقم (١٩)

قبة السلطان العادل طومان باي ٩٠٦ هـ ـ ١٥٠١ م « بالعباسية من القاهرة »
وقد شغلت نواصي منطقة انتقالها باشكال هرمية ناتئة على مستويين وهي تشبه تماما مايوجد بنواصي منطقة انتقال سبيل قايتباي بالقدس

من ارشيف الفنانأحمد المفتي ـ دمشق

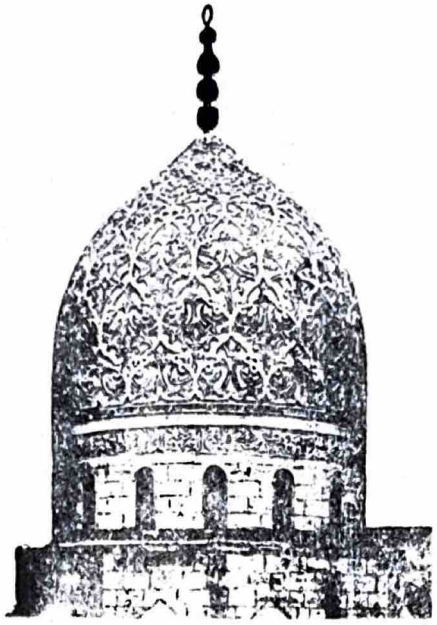

لوحة رقم (٢٠)

القبة الملحقة بمجمع الامير خاير بك ٩٠٨ هـ ١٥٢٠ م « بباب الوزير من القاهرة »

وقد شغلت كل ناصية من نواصي منطقة انتقالها بهرمين ناتئين أسفلها معين ناهض قليلا .

أما زخارف الخوذة فنباتية مركبة مع زيادة في التانق والدقة بالاضافة لتحديدها

باشرطة حجرية على هيئة النجاريات ذات الجدلات

من ارشيف الفنانأحمد المفتي ـ دمشق

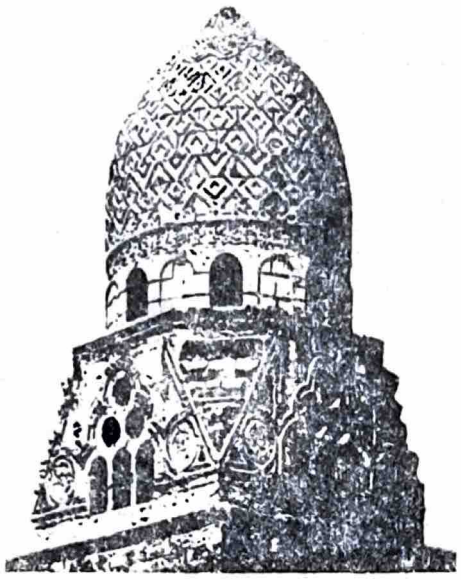

لوحة رقم (٢١)

قبة عصفور حوالي ٩١٢ هـ ـ ١٥٠٦ م « بقرافة المجاورين من القاهرة »

وهي تشبه في رشاقتها قبة سبيل قايتباي بالقدس الشريف

من ارشيف الفنان أحمد المفتي ـ دمشق

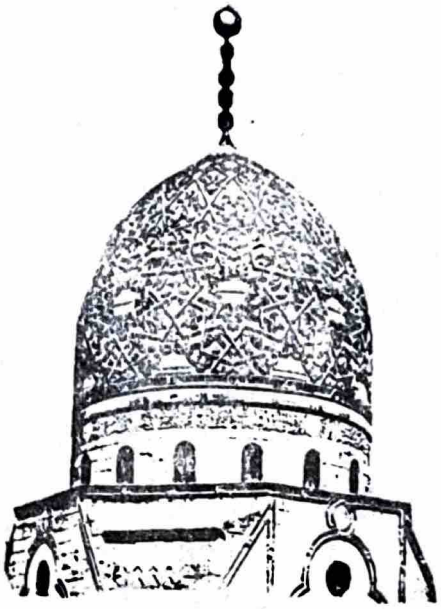

لوحة رقم (٢٢)

القبة الملعقة بمسجد جانم البهلوان ٨٨٣ : ٩١٦ هـ ـ ١٤٧٨ : ١٥١٠ م « بحي المغربلين من القاهرة » وقد شغلت نواصي منطقة انتقالها بشكل هرمي ناتيء ، أما زخارف الغوذة فنباتية مركبة مع تحديدها بأشرطة حجرية على هيئة النجاريات المجردة

نقلا عن : Kessler «C».

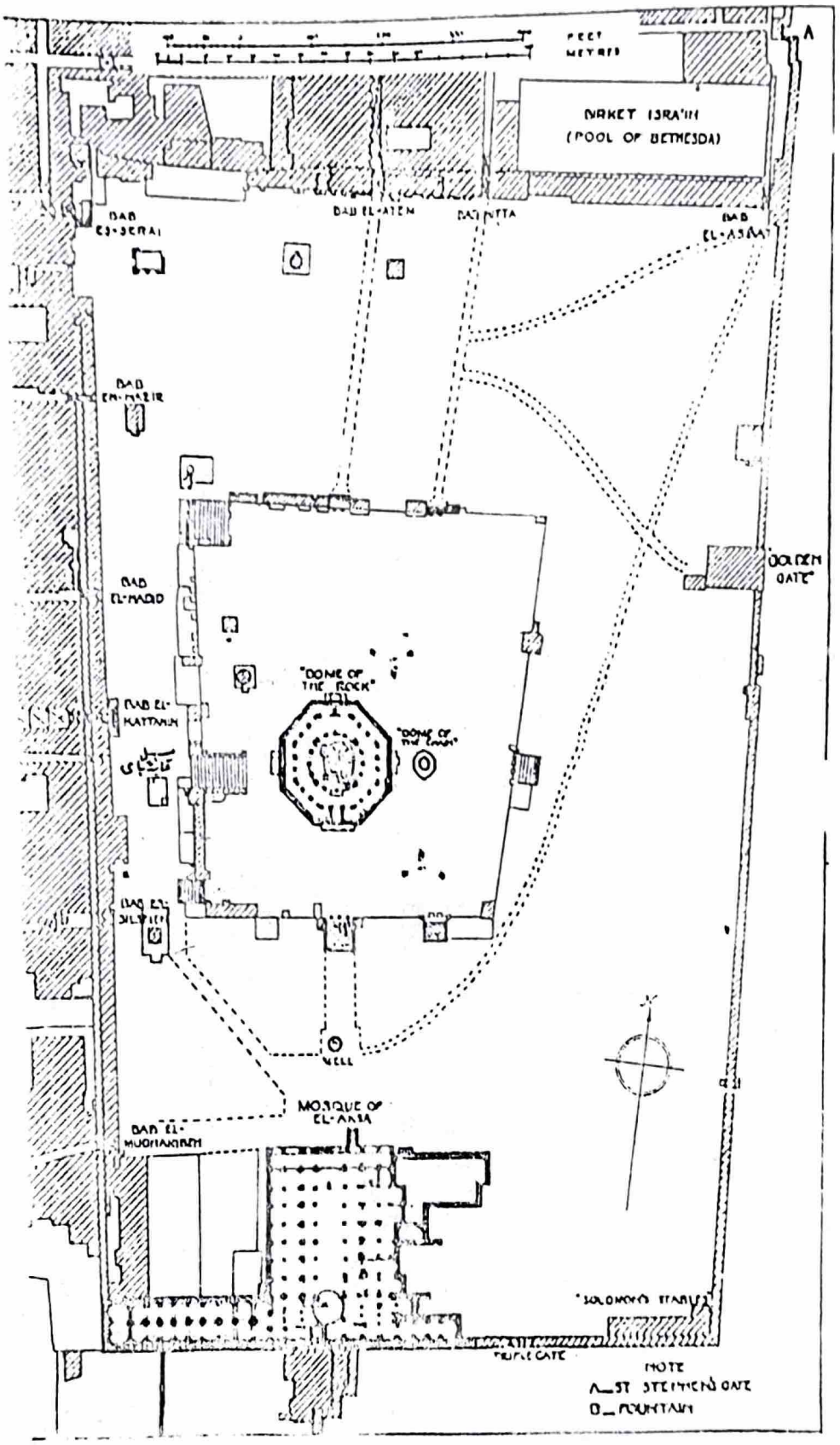

شكل رقم (١)

كروكي خريطة توضح الحرم الشريف بالقدس وما به من معالم ومبان اثرية من بينها سبيل قايتباي موضوع الدراسة

نقلا عن :

Grabar : A New Inscription from the Haram al Sharif in Jerusalem.

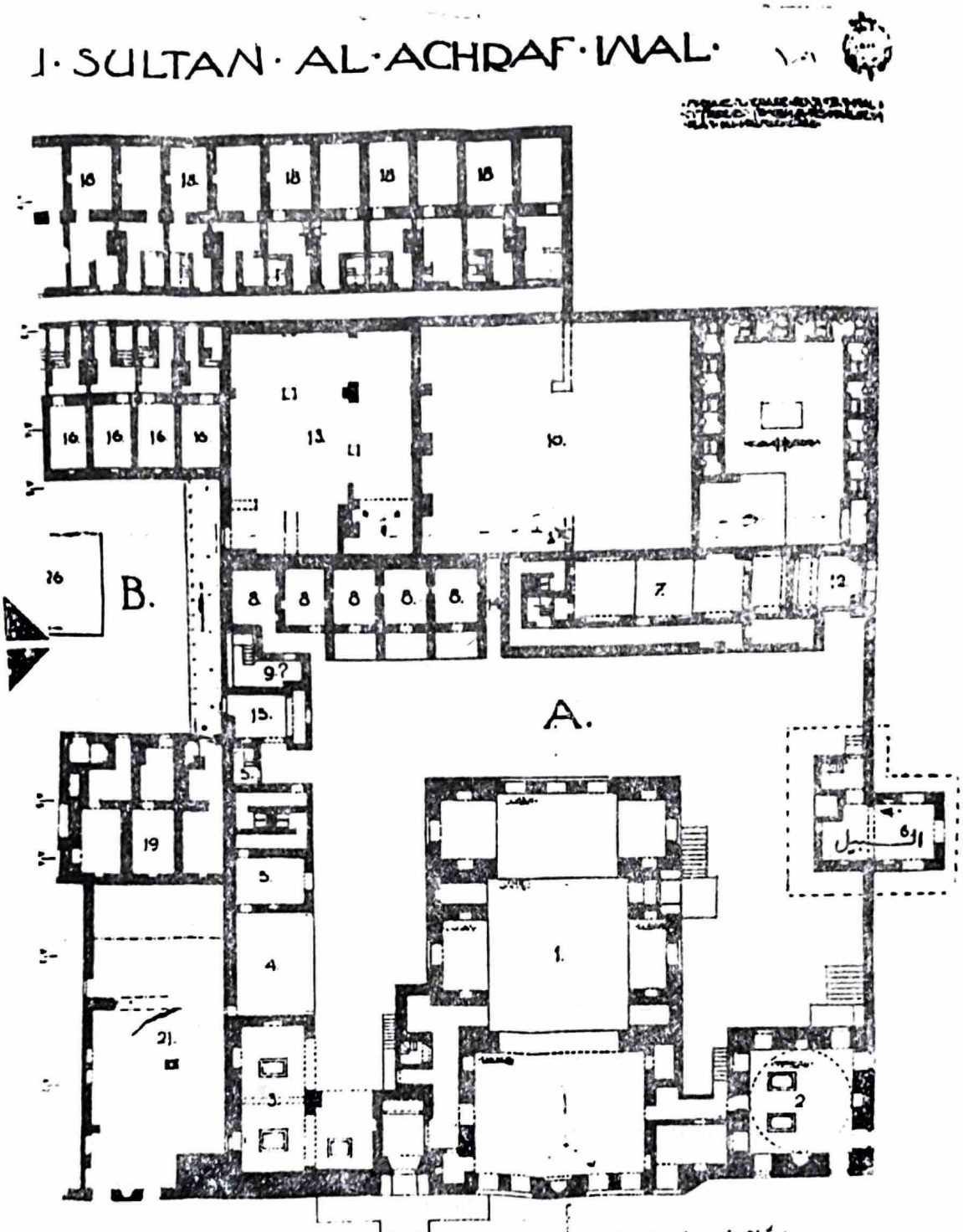

مسقط أفقي لمجمع السلطان إينال ٨٥٥هـ - ١٤٥١ : ٨٦٠هـ - ١٤٥٦م بقرافة الأشرفية القاهرة مبيناً عليه السبيل الذي أبرزه المعمار بمكيانه الواجهة الشمالية الشرقية للشارع حتى ينفتح بواجهاته ثلاثة شبابيك فالسبيل وهو أول سبيل يفتتح هذا التجديد الذي لم يسبق ذلك شائعاً فقط أو منفرداً.

نقلاً عن أرشيف قسم الرسم بمصلحة الآثار بالقاهرة.

شكل رقم (٢)

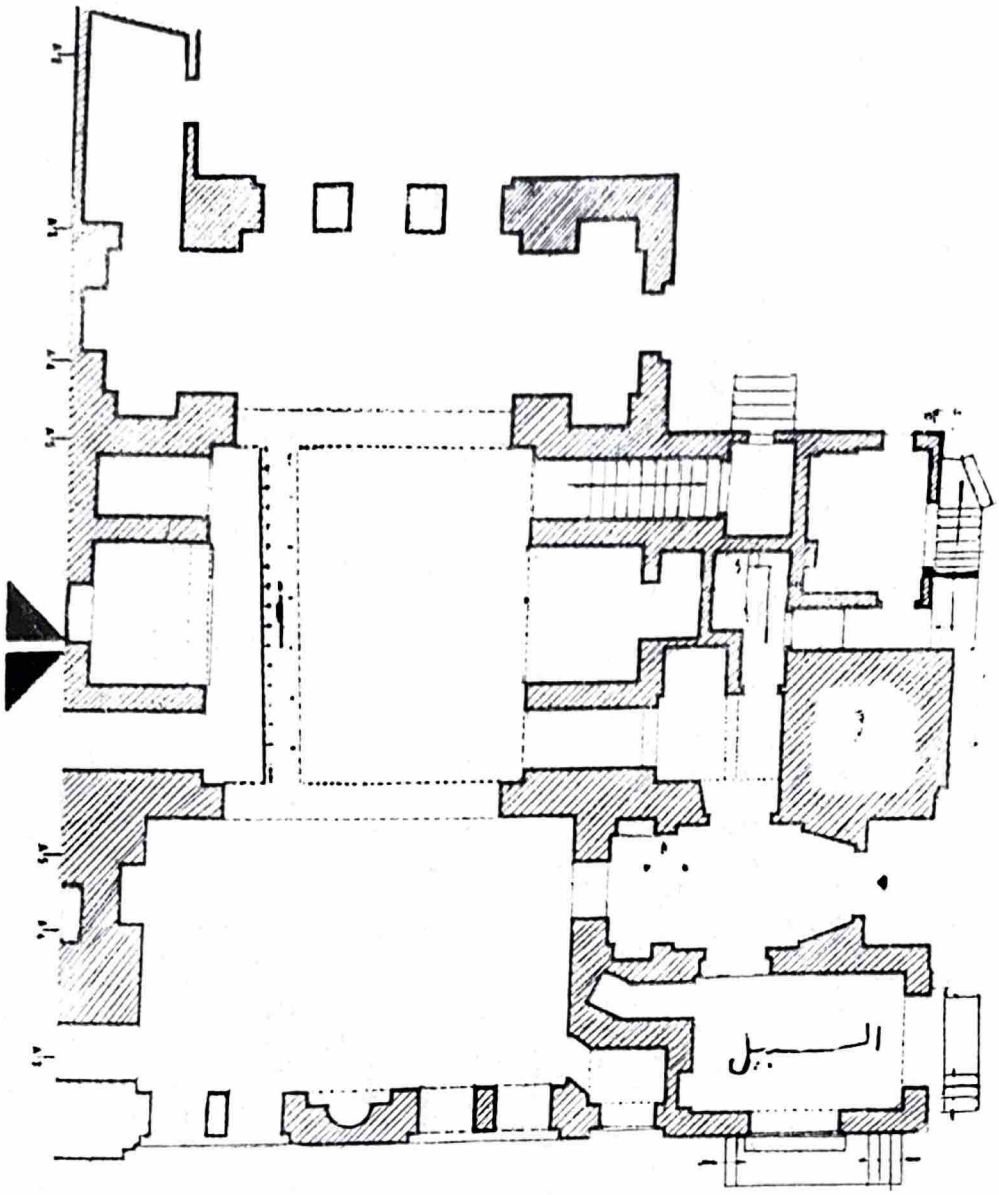

مسقط أفقى لمدرسة جمع السلطان قايتباى ٨٧٢ : ٨٧٩ هـ - ١٤٧٠ : ١٤٧٤م "بمقرافة قايتباى بالقاهرة"
مبيناً عليه السبيل الذى أوجده المعمار بالناصية الشرقية للمدرسة حتى يمنع به مشاة الى تسبيل .
نقلا عن : أرشيف قسم الرسم بمصلحة الآثار بالقاهرة .

شكل رقم (٣)

شكل رقم (٤)

مسقط افقي يبين حالة السبيل الثاني بمجمع قايتباي السابق ـ قبل تخلية واجهتيه من منزل الجندي الذي سمي السبيل باسمه بطريق الغطا ، ويقع هذا السبيل الى الجنوب من السبيل الرئيسي الموضح بالمسقط السابق ، وقد أبرزه المعمار عن كيان الواجهة حتى يفتح به شباك ثان

نقلا عن : أرشيف قسم الرسم بمصلحة الآثار بالقاهرة

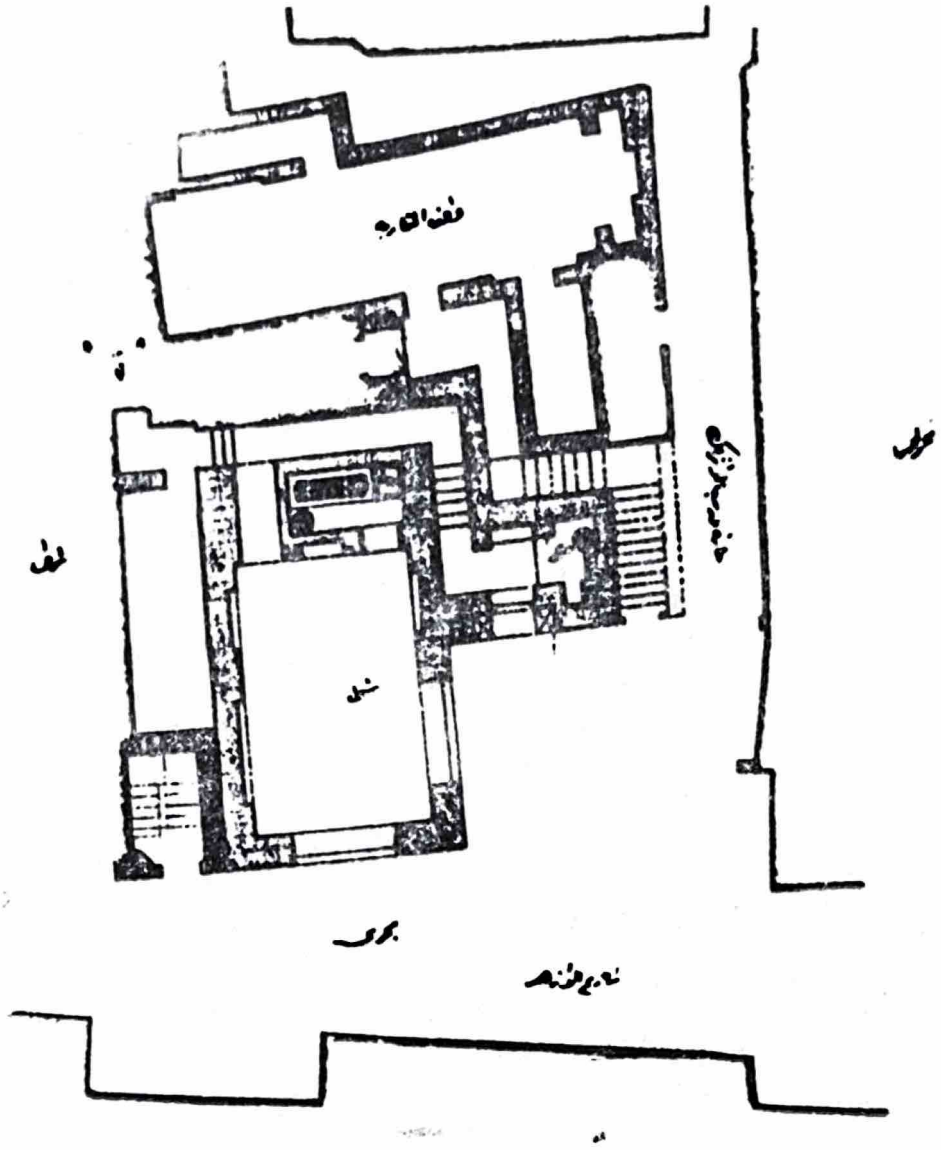

شكل رقم (٥)

مسقط أفقي للسبيل قايتباي « بالازهر » ٨٨١ هـ ـ ١٤٧٧ م ، وقد ابرزه المعمار عن كيان واجهة مدخله حتى يفتح شباك ثان له ، وقد أدمج المعمار في السنة التالية لبنائه وكاله بالجانب الجنوبي الشرقي منه

نقلا عن ارشيف قسم الرسم بمصلحة لآثار بالقاهرة

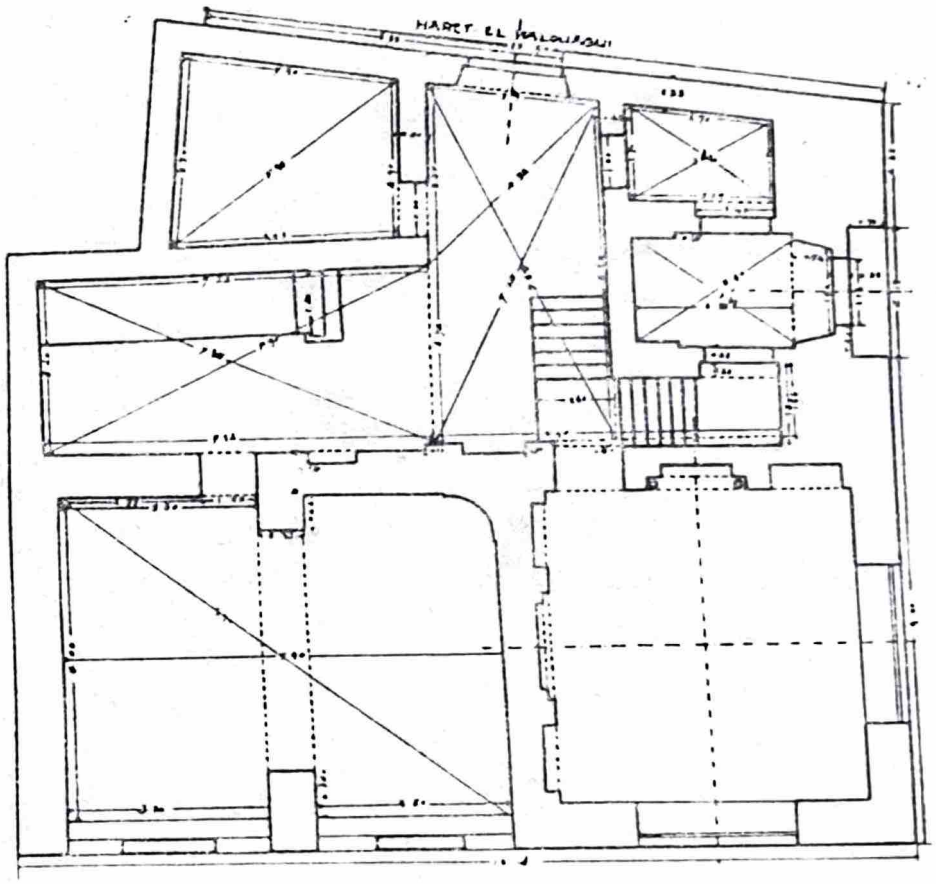

سقط أفقى لسبيل قايتباى "بالصليبة"
٥٨٨٤ - ٢١٤٧٩، ورقم إستعلال هذا
السبيل أى أنه غير معد حتى بناية أكبر منه
ظاهر المعارم يستطع الدفع شباكيه به
فقط نظراً لوجود كتلة المدخل تعلوه
الجانب الجنوبى وميضاة المصلى تعلوه
الجانب الشرقى فلم يبق له الا الجانبية
الشمالى والغربى فتح بكل منها شباك.
منقول عنه: أرشيف قسم الرسم
الآثار بالقاهرة.

شكل رقم (٦)

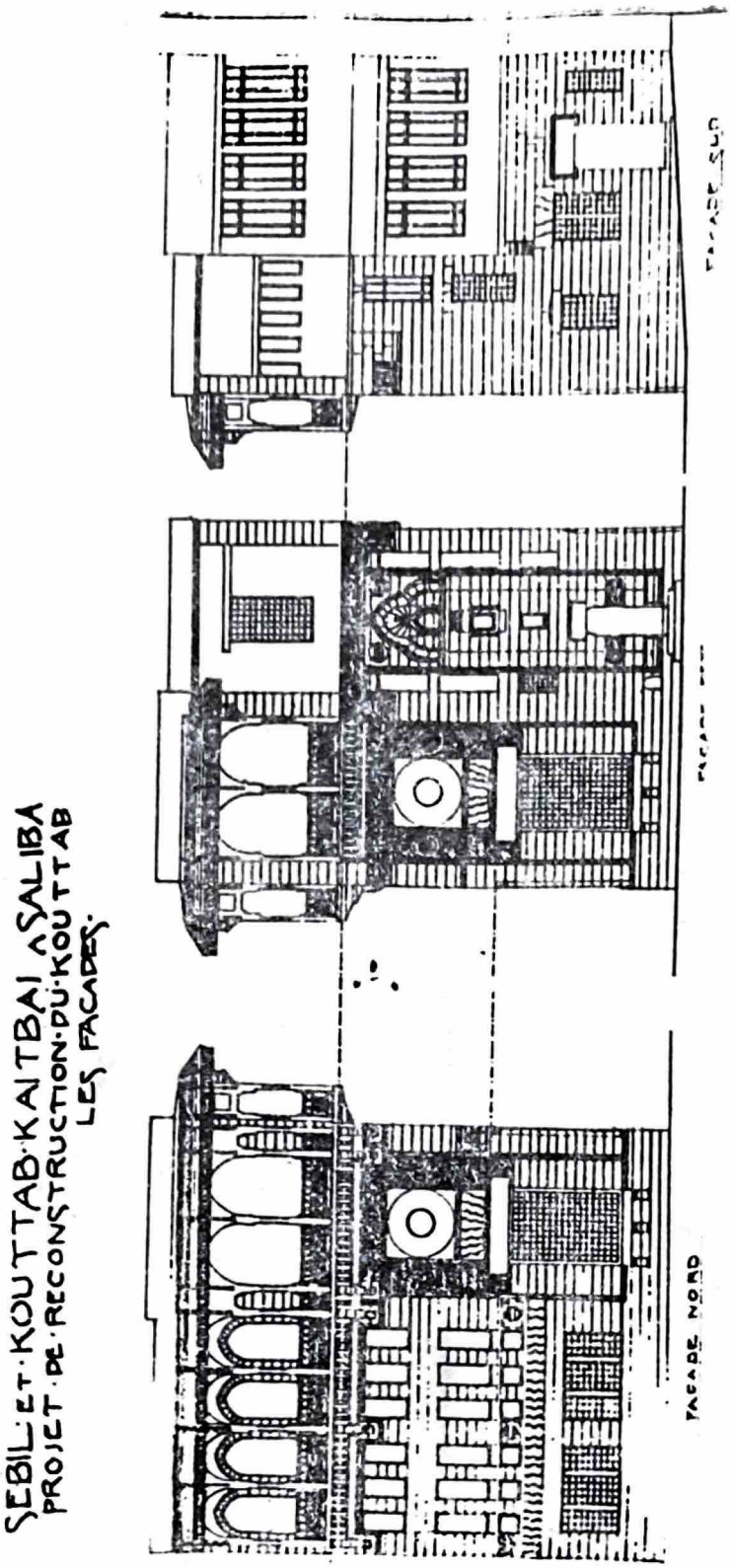

شكل رقم (٧)

مشروع اصلاح كل من الواجهة الجنوبية والشمالية والغربية لسبيل قايتباي « بالصليبة »

نقلا عن : ارشيف قسم الرسم بمصلحة الآثار بالقاهرة

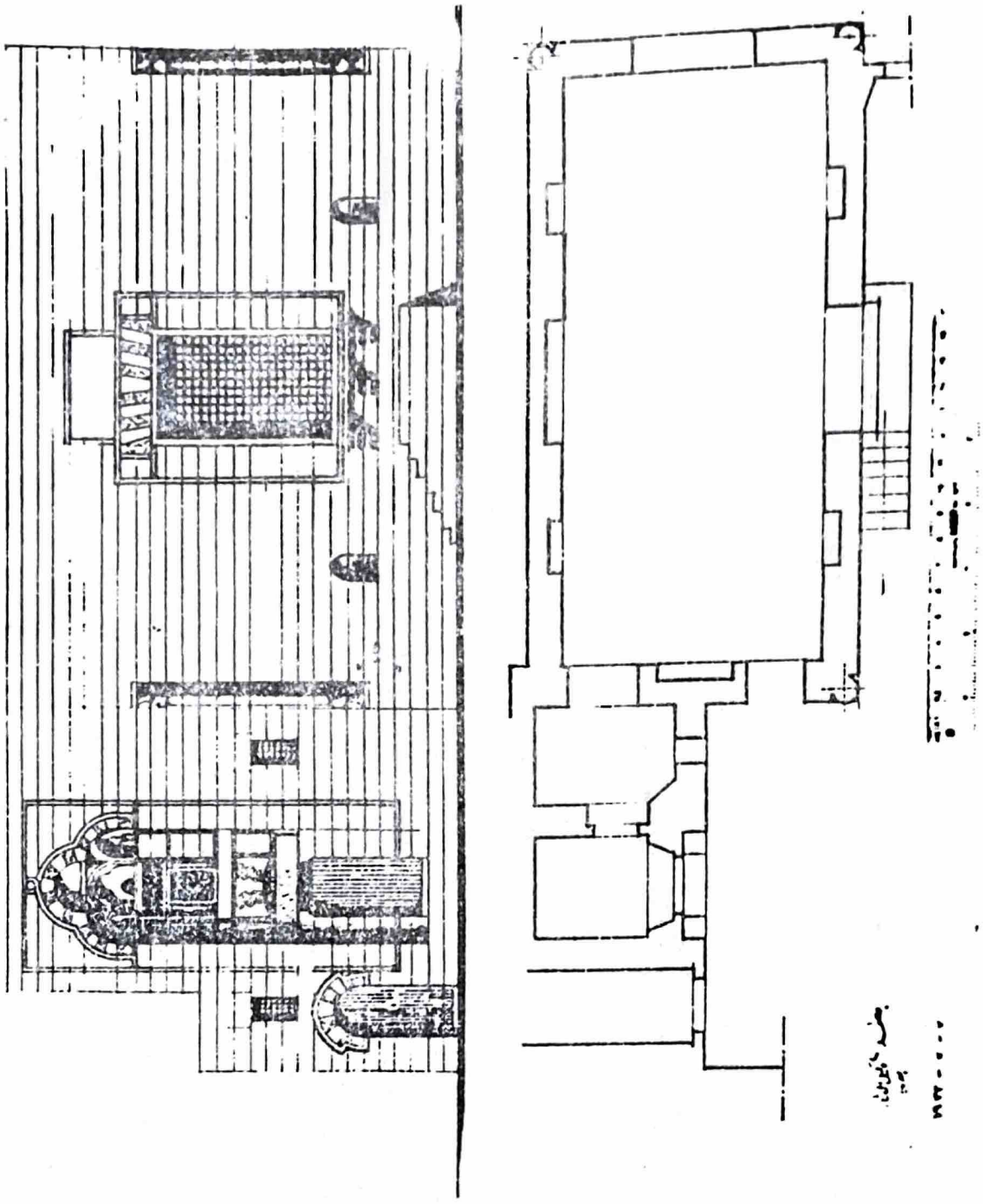

شكل رقم (٨)

مسقط أفقي ورسم للواجهة الشمالية الغربية لسبيل قايتباي قرن ٩ هـ ـ ١٥ م
الواقع بالزيادة الجنوبية الغربية لمسجد ابن طولون ولهذا السبيل شباكين ، شباك يشرف على
الطريق وآخر يشرف على الزيادة

نقلا عن : ارشيف قسم الرسم بمصلحة الآثار بالقاهرة

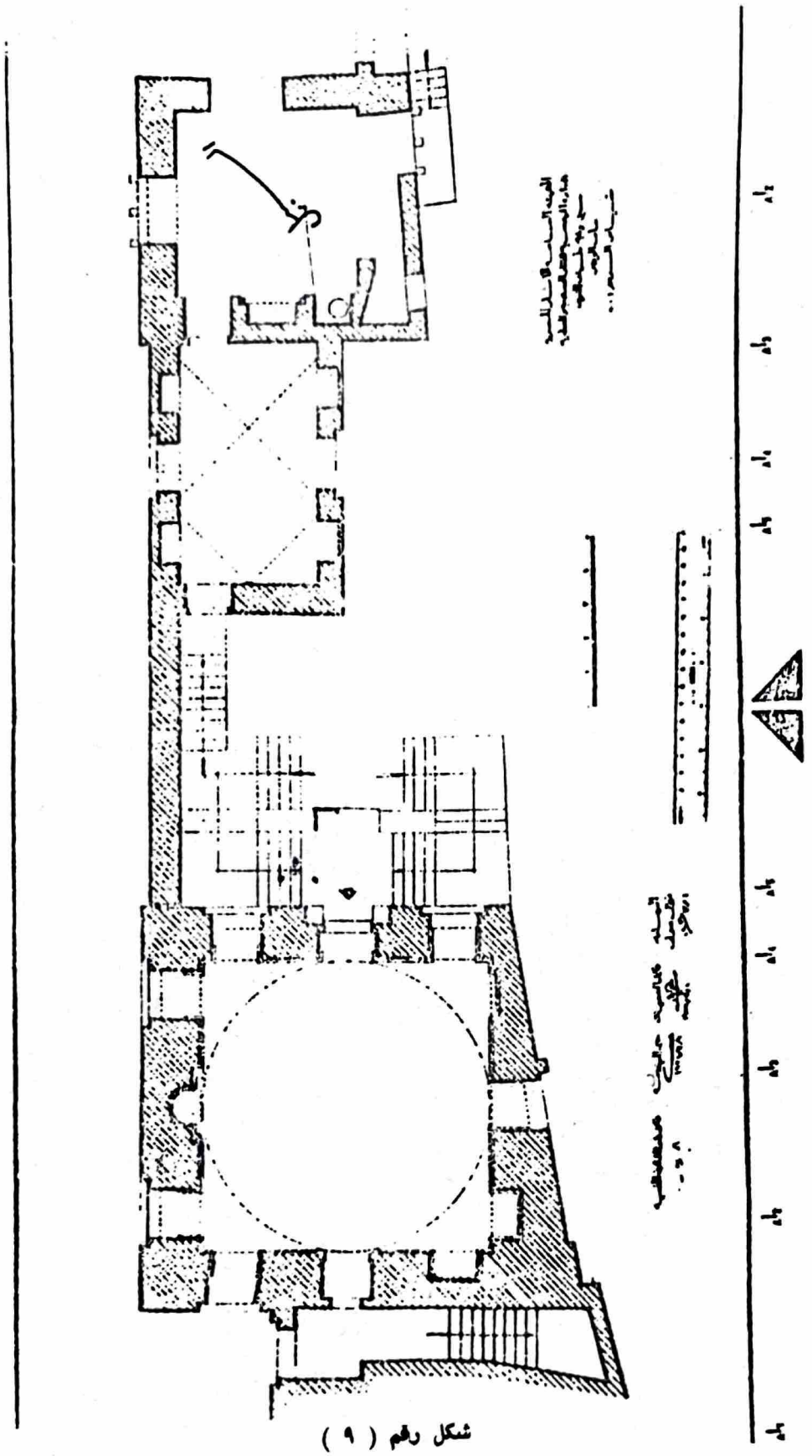

شكل رقم (٩)

مسقط افقي لقبة الامير طراباي الشريقي وملاحقها ٩٠٩ هـ ـ ١٥٠٣ : ١٥٤٠ م
« بقرافة باب الوزير من القاهرة » مبنيا عليه السبيل الذي فتح المعمار بواجهاته ثلاثة شبابيك للتسبيل وهو المثل الثالث في ذلك بالقاهرة

نقلا عن : ارشيف قسم الرسم بمصلحة الآثار بالقاهرة

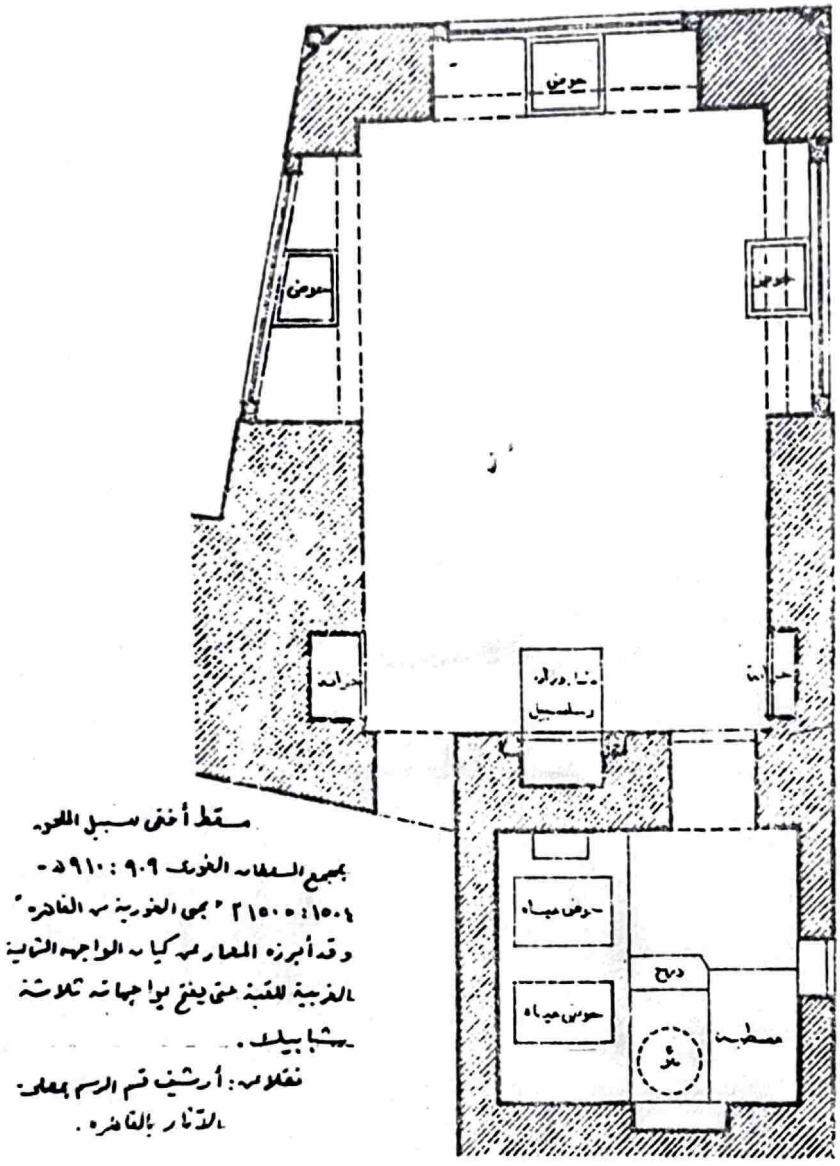

مسقط أفقى لسبيل اللقوه
بمجمع السلطان الغورى ٩٠٩ : ٩١٠هـ -
١٥٠٤ : ١٥٠٥م " بحى الغورية بالقاهرة "
وقد أبرزه المعمار بكيا الواجهة الشمالية
الغربية للقبة حتى يفتح بواجهاته ثلاثة
شبابيك .

نقلا عن : أرشيف قسم الرسم بمعهد
الآثار بالقاهرة .

شكل رقم (١٠)